



د. أحمد خالد توفيق

الغرفة 207



دار ليلي

جمهورية مصر العربية

23 ش السودان - المهندسين

هاتف:

33370042

محمول:

0123885295

الموقع:

www.darlila.com

البريد الإلكتروني

mail@darlila.com

الكتاب

الغرفة 207

التأليف:

د. أحمد خالد توفيق

رقم الإيداع:

2009/23250

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

الإشراف العام:

محمد سامي

© جميع الحقوق محفوظة. وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع
أو نشر دون موافقة كتابية: يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

د. أحمد خالد توفيق

الغرفة 207

قصص

دار ليلي للنشر والتوزيع

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٩	فتاة وحيدة
٢١	لعب عيال
٣٥	فضول
٤٧	زوجان
٥٩	تلفزيون الواقع
٧١	اعدها لي
٨٣	النمط رقم (٤)
٩٧	اللقاء
١٠٩	تجربة ليلية
١٢١	شيء ما
١٣٣	قلادة وعطر وساعة حائط
١٤٥	ما رأيك يا عم جمال؟

المقدمة

لك أن تصدق هذا أو لا تصدقه، لكنني لم أقرأ قصة ستيفن كنج (١٤٠٨) إلا بعدما توقفت عن كتابة حلقات الغرفة ٢٠٧ ونشرها، وقد قرأت ١٤٠٨ مؤخرًا مترجمة ترجمة ممتازة قام بها الصديق (هشام فهمي) وصدرت عن دار ليلي. بالطبع لا يوجد تشابه بين العاملين إلا في كونهما يتكلمان عن غرفة فندق غريبة الأطوار، لكنني أحببت عبارة وردت على لسان ستيفن كنج في مقدمة كتابه يقول فيها: «بالإضافة إلى قصص دفن الأحياء، على كل كاتب رعب أن يقدم قصة واحدة على الأقل عن غرف الفنادق المسكونة، لأن غرف الفنادق أماكن مخيفة بطبيعتها. تخيل كم من الناس نام في الفراش قبلك؟ كم منهم كان مريضًا؟ كم منهم كان يفقد عقله؟ كم منهم كان يفكر في قراءة بضع آيات أخيرة من الكتاب المقدس الموضوع في درج الكومود بجوار الفراش قبل أن يشنق نفسه في خزانة الملابس بجوار التليفزيون؟»

هذه هي الفكرة التي توارقني في غرف الفنادق عامة. لقد شهدت هذه الغرفة ألف قصة وألف حياة، وأحسب أن كل من مربها ترك جزءًا من هالته النفسية في هذه الغرفة. لا شك أن الوسادة تحمل رائحة أكثر من قاتل وأكثر من حسناء غريبة الأطوار وأكثر من طفل مختل شرير.

هكذا بدأت كتابة الغرفة ٢٠٧ وقد جربت فيها تيمات عديدة، فلا أكتمك سرًا أن البحث عن تيمة غير مطروقة في كل مرة كان عذابًا أليمًا، حتى سألت نفسي إن لم يكن من الأفضل أن تكون رواية ذات تيمة وفكرة واحدة لأريح وأستريح؟. لكن التحدي راق لي، وعرفت أنني نجحت إلى حد ما عندما بدأ أعنف نقادي وأقساهم - أنا - يرتبط بالفندق وجمال المحاسب العجوز وعم مينا ومصطفى وكل المضيفات اللعوبات

الرشيقات ورجال الأمن الخشنين طيبي القلب. حتى إنني صرت أقمص شخصية جمال اثناء الكتابة وأسأل نفسي: «ترى من هو نزيل اليوم؟».

قلت إنني قرأت ١٤٠٨ للمرة الأولى بعدما كتبت هذه القصص، ولا تفسير لذلك عندي إلا توارد الخواطر. هناك مثال أغرب هو إنني فوجئت بعد نشر ثلاث حلقات من هذه القصص بفيلم مصري في مرحلة ما بعد الانتاج اسمه (الغرفة ٧٠٧)!!.. طبعاً لا يمكنك اتهامي بسرقة العنوان لأنني نشرت قصصى أولاً، ولا يمكن اتهام الفيلم المصري فلم يكن هناك وقت كاف لكتابة وتصوير وإنتاج فيلم في هذه الفترة القصيرة التي تلت بدء نشر قصصى، وقصة الفيلم على كل حال لا تمت بصلة لقصتنا هذه. لا شك أن هناك لغزاً يحيط بالغرفة ٢٠٧ فعلاً!

والآن قف معي على الكاونتر.. افتح الدفتر... ارفع عينيك إلى النزيل الأول الذي يجتاز مدخل الفندق الآن.. ترى من هو؟.. ما حكايته؟.. ماذا تخبىء له تلك الغرفة؟
فلنر....

فتاة وحيدة

هذه الغرفة ليست على ما يرام.. دعني أؤكد لك هذا برغم أنه لا قيمة له.. لقد تكلمنا كثيراً عنها فيما سبق، وقلنا إنها حتماً تمثل ذلك المعبر بين عالمنا وعالم آخر له مقاييس أخرى... كان هناك مصطفى عامل المصعد الذي قال إنها مسكونة وأنه لا بد أن هناك من مات فيها ميتة شنيعة في زمن ما.. قلت له إن هذا مستحيل لأنني في الفندق منذ تم إنشاؤه.. لقد حدثت أول حادثة بشعة بلا تفسير في تلك الغرفة عام ١٩٦١، وهي كفيلة بحق أن تجلب الشؤم على ألف غرفة، لكن ما الذي سبب هذه الحادثة؟.. لا بد أن شيئاً كان موجوداً قبلها..

عم مينا المحاسب العجوز كان يرى أن تلك الغرفة هي أحد أبواب الجحيم، وأنه يكفي أن يبيت فيها أحد حتى ينفتح ذلك الباب الموارب لتدخل منه الأرواح.. أنا كنت أرى أن الموضوع يتعلق بالجان أو الشياطين.. على كل حال لم نصل لشيء... كل ما استطعنا عمله هو أن تجنبنا تلك الغرفة كأنها باب الجحيم فعلاً... هناك عدد من الآيات القرآنية في الردهة وهناك صورة العذراء والصليب في الرواق المجاور كما علقهما عم مينا منذ ثلاثين عاماً.. يوم الجمعة نحرق البخور في الردهة.. لا نوصي بهذه الغرفة للنزلاء..

لكن المشكلة هي أننا تكلمنا أكثر من اللازم، وقد استدعانا الخواجة مايكل المدير إلى مكتبه، وكان يجيد العربية كأهلها كما تعلم، فوجه لنا الكثير من اللوم وعبارات السباب التي تشي بأنه درس العربية في أحياء بولاق.. كان له وجه بدين مترهل عملاق.. عملاق لدرجة لا تقدر على استيعابها لأول مرة.. ومما يضاعف التأثير أن جسده كان ضئيلاً، لذا كنت تشعر بأنه رأس مقطوع موضوع على المكتب.. تأثير هذا لم يكن محبباً على الإطلاق.. لقد ظل يرمقنا في صمت منذر بالويل.. ثم قال لنا في حزم وعيناه الزرقاوان تشتعلان غضباً: «هذا الكلام الفارغ يسيء لسمعة الفندق.. لو سمعت أن أحدكم تكلم أو وجه تلميحاً للنزلاء فليسوف يكون هذا آخر عهده بالعمل هنا..»

وهكذا ابتلعنا أسنتنا.. اعتبرناه نوعاً من القسم الذي كان علينا أن نبر به.. عندما يكون ثمن الحنث بقسمك هو الطرد فأنت تبر به حرفياً..

لقد تغير كل شيء منذ ذلك الحين..

رحل كثيرون.. حتى الخواجة مايكل عاد إلى إيطاليا وعم مينا توفاه الله، ومصطفى في قريته بالمنوفية.. ربما مات.. لا أعرف...

فقط بقيت أنا.. كالصخرة التي ترتطم عليها أمواج البحر.. تظل هي باقية مهما حدث..

اسمي جمال الصواف.. أزحف في إصرار مريب نحو السبعين.. وحيد تمامًا.. قد طلقت امرأتي منذ أعوام طويلة.. لا تسألني عن السبب فأنا لم أعد أنكره.. لا أنكر وجهها ذاته.. لا بد أنها كانت امرأة بدينة طويلة اللسان لا تكف عن معايرتي وسب أمي.. لا بد أن هذا كان السبب فلا أعتقد أن الخيانة الزوجية واردة.. هذه أشياء تراها في السينما أو تقرأها في صفحة الحوادث..

اسمي جمال الصواف.. استطعت أن أحتفظ بصحتي قدر الإمكان ولعل هذه واحدة من مزايا الطلاق المبكر، فلا أعاني ارتفاع ضغط الدم ولا السكر، لكنني إذ قبضت أناقلي على أجهزتي الحيوية كي لا تضيع، أفلتت عيني لتتزلق على الأرض.. هكذا لم أعد أبصر تقريبًا.. لو انحنيت لألتقط عيني لسقط كبدي أو قلبي، لذا أقول: فلتبق الأمور كما هي إذن...

اسمي جمال الصواف.. عجوز كأي عجوز آخر.. فقط ما زلت أحتفظ بشعر رأسي الذي صار أبيض تمامًا.. ما زلت نحيلًا غير مترهل.. وجهه مجعد رسم عليه كل يوم وكل هم أخذودًا ما.. عينان رماديتان لكن هذا ليس لونهما بالطبع.. إنه ذلك الخليط العبقري من الكاتاراكت (السدة) والظفرة.. يمكنك بعد دقائق أن تدرك أن هذا الجالس أمامك لا يرى تقريبًا..

منذ أعوام لم أعرف لي بيتًا إلا هذا الفندق.. أبيت فيه وأكل فيه، ولم أذهب قط إلى دمنهور مدينتي الأصلية منذ دهر.. أنا موظف الاستقبال هنا أو هكذا يفترض بي أن أكون، لكنني أعرف أنه لا نفع مني على الإطلاق.. ما جدوى موظف استقبال لا يرى إلا خيالات أمام عينيه منذ خمسة أعوام؟.. كل مالك جديد للفندق لا يجروء على الخلاص مني.. يحتفظون بي على سبيل (البركة) ولأن راتبي لا يكفهم شيئًا.. فقط هو طعامي.. هكذا يتركني المدير كما أنا ويفضل أن يترك مهمة الخلاص مني للموت أو للمدير القادم..

العمل الحقيقي يقوم به شاب نشط متحمس.. هم يذهبون ويأتون.. حاليًا هو شاب من إسكندرية اسمه رامي على ما أنكر.. هو الذي يقابل النزلاء ويأخذ المقاتيح ويعيدها لهم ويدون الأسماء في الدفتر، بينما أكتفي أنا بالجلوس في الركن والقلنسوة الصوفية على

رأسي، وأتحدث عن البرد وعن أيام كان هذا الفندق مزاراً لعلية القوم.. أتأمل النزلاء بعينين لا تريان، وأضيف لذاكرتي قصصاً جديدة.. لكنني برغم هذا كله - يجب أن تصدقني - لم أتلفظ بحرف عن الغرفة ٢٠٧.. ما زلت احتفظ بوعدتي للخواجة مايكل..

على كل حال لا أحد يبالي بهذه الحكايات.. الحركة سريعة جداً.. سرعان ما يظهر موظف الاستقبال الشاب هذا.. ثم تظهر تلك المضيقة الحسنة ذات المشية الراقصة والتنورة الضيقة.. عندها أعرف ما سيحدث.. لقد رأيته ألف مرة من قبل.. سوف يلاحقها ويتودد لها وهي تتمنع.. بعد قليل تسمح له بأن يمسك يدها.. ثم جولة على الشاطيء.. ثم الخطبة.. ثم الزفاف.. ثم طلبه منها ألا تعمل في الفندق.. ثم تركه للعمل وقبلة على خدي أو - إذا كان عاطفياً - على يدي و..

«ادع لنا يا عم جمال..»

هنا تتلاشى أخبارهما.. فقط ليظهر كاتب استقبال شاب جديد ومضيقة حسنة جديدة تلبس تنورة ضيقة.. سامي ومها.. أحمد وعفاف.. محمود وغادة.. رامي ومي.. رمزي وماريان.. عبد الله وعواطف...

كل الوجوه تتغير.. عامل المصعد.. عامل النظافة.. رجل الأمن.. لولا المبالغة لقلت إنهم يظهرون ويختفون أسرع من النزلاء أنفسهم.. لكنني باق كما أنا.. عم (جمال) العجوز البركة الذي لا يعرف أحداً ما يفعله بالضبط، لكن الجميع يشعر بانعدام توازن لو لم يجدوه يوماً...

لن أخبرك بتفاصيل، لكن الفندق الذي أعمل فيه يوجد في مرسى مطروح.. يمكنك أن ترى البحر من شرفته، ويمكنك أن ترى الشارع الرئيس.. أنا لم أبح بأية أسرار ولم أعط تفاصيل مهمة، لأن هناك عدة فنادق تنطبق عليها هذه الصفات..

لا تعني الغرفة ٢٠٧ أن هناك ٢٠٦ غرفة قبلها، لكنه نوع من النصب الفندقية.. فقط يمكنك أن تستنتج أن الغرفة في الطابق الثاني.. أية غرفة رقمها يبدأ بـ (٢٠٠) توجد في الطابق الثاني.. هناك ممر طويل وبعض لوحات على الجدران ثم الغرفة ٢٠٧ التي تبدو بريئة جداً.. لو كانت هناك ملاحظة يجب أن يعرفها المرء عن تلك الغرف الشيطانية فهي أنها تبدو كأية غرفة أخرى..

في العام ١٩٦٧ دخلت الغرفة ٢٠٧.. لم تكن هذه آخر مرة..

عاملات التنظيف يدخلن الغرفة.. الكهربائي يدخلها.. هناك نزلاء كثيرون يدخلونها.. أحياناً ما تكون هي الغرفة الوحيدة الخالية أو يكون النزول ممن يتفألون برقم ٢٠٧ لسبب لا يعلمه إلا الله.. إنها تطل على البحر والمنظر من هناك مهيب.. لا ينبغي أن تجد شيئاً مرعباً أو غريباً في كل مرة، لكنني دخلت تلك الغرفة في ظروف معينة وكان ما رأيته غريباً.. لهذا قصة أحكيها لك.. فقط اقترب قليلاً حتى لا أرفع صوتي....

في العام ١٩٦٧ لم يكن اسمي عم جمال.. كنت جمال الصواف الشاب فارغ الطول أسمر اللون الذي يحمل بعض الوسامة ويقرأ كثيراً جداً.. لهذا كانت ثقافتني تفوق ما ينبغي لي أو ما يتوقعه الناس مني.. كنت أعمل في الاستقبال كما تعرف.. في الثامنة مساء جاءت تلك الحسناء الوحيدة تبحث عن غرفة.. اسمها كما وقّعت في الدفتر كان شيرين محمود.. مصممة ديكور.. وقّعت ثم نظرت لي وابتسمت.. قالت كلاماً كثيراً عن أنها وحدها هنا.. وحدها تماماً وعن أنها تسهر كثيراً و... كنت أنا املاً الأوراق بينما ذهني يحاول استنباط شيء من هذا كله.. لماذا تقوله؟.. النتيجة التي توصلت لها كانت رائعة.. وعندما رفعت عيني لعينيها وجدتها تنظر لي بتلك النظرة الثابتة كأنها تقول: نعم.. هو ما فهمته يا أحمق!

ما الغرفة التي اختارتها؟

اختارت الغرفة ٢٠٧ لأنها الغرفة الوحيدة الشاغرة في هذا المساء..

عند منتصف الليل لم يكن في ذهني شيء سوى تلك الحسناء الوحيدة التي قالت عيناها بوضوح إنها ترغب في أن تعرفني أكثر.. دعني أعترف لك بأنني لم أكن طاهر الذيل في شبابي وكانت لي مغامرات عدة.. لهذا ظل الرقم ٢٠٧ يتردد في ذهني ألف مرة.. وأخيراً قلت لمصطفى أن يتولى أمر الاستقبال لأنني راغب في القيام بجولة.. كان مصطفى يتخذ مكانه جوارى في الليل عندما تقل الحركة..

دخلت إلى المصعد وطلبت الطابق الثاني؛ ثم مشيت في الردهة.. ليست في ذهني أية تفاصيل عما يجب أن أفعله بعد ذلك.. من السهل أن أكون واهماً أو أحمق.. ٢٠٣.. ٢٠٥... ٢٠٧...

هذه هي!

وقفت خلف الباب غير عالم بما يجب أن أفعله بعد هذا.. هنا فوجئت بأن الباب موارب..

لا أعرف كيف ولا متى دفعته فانفتح، ولا كيف وجدت نفسي بالداخل.. كانت هذه هي المرة الأولى التي أجد نفسي فيها داخل هذه الغرفة.. لكنني أعرف التصميم العام لكل غرف الفندق...

كانت الشرفة مفتوحة ويمكنني أن أرى البحر.. كتلة من السواد الغاضب الناثري يتناثر منها الزبد كما يتناثر من قم رجل ناثري.. هذا هو الشيء الوحيد المألوف في الغرفة..

فيما عدا هذا كانت هناك أشياء ووجوه.. أشعر أن الغرفة كانت بحجم ميدان.. هناك من يجلس ويتأمل.. هناك من يرقص في صخب.. هناك من يتلوى على الأرض.. هناك نيران.. هناك أمطار.. هناك غابات وأشجار.. هناك شلالات..

رأيت أسد الجبال يثب فوق ظبي شارد.. رأيت الديناصورات تخرج رؤوسها من أعماق المستنقعات.. من مكان ما جاء أبي الذي توفاه الله منذ عشرة أعوام.. كان ملفوفاً بالأكفان لكنه ما زال يحتفظ بذات النظرة الصارمة.. قال لي بصوت مبحوح:

«أنت لم تتغير.. جئت هنا من أجل فتاة!... عليك أن تفر ولا تعود أبداً»

لكنني لم أستطع الفرار لأن المغول أغلقوا الطريق.. كانوا عاكفين على تمزيق رجل عجوز.. وتناثر الدم ليلطخ الجدران، بينما من مكان ما ظهر الشيطان.. نعم.. الشيطان كما يرسمونه في الرسوم البيزنطية.. هو تحويل لصورة بان إله المراعي الأغريقي.. رائحة الكبريت تفعم أنفي وهو يقول لي والدم يسيل من شذقيه:

«أنت دخلت الغرفة ٢٠٧.. فعلت ذلك بكامل إرادتك!...»

هنا تظهر شیرين للمرة الأولى.. أدرك أنه لا بياض في عينيها.. لا يوجد سوى السواد.. لكنها هي.. تقول وهي ترفع كأساً به سائل أحمر لزج قان:

«إنه لي!... لن تأخذه مني.. لقد جاء هنا من أجلي..»

في اللحظات التالية رأيت هتلر وموسوليني ونبيرون وهولاكو ونابليون وكل سفاح عرفه التاريخ.. رأيت براكين تنفجر فلا تخرج منها الحمم لكن الصديد.. رأيت أذرعاً تخرج من تحت البساط تحاول الإمساك بكاحلي.. رأيت طفلة تبكي جوار الجدار وظهرها لي فلما دنوت منها التفتت.. لم يكن لها وجه على الإطلاق... رأيت راقصة حسناء ترفع تنورتها فإذا بها تمشي على قدمي تيس..

رأيت نفسي ممدداً على ظهري بينما يلتف حولي كهنة الأزتك لينزعوا قلبي النابض

قرباناً لإلههم كويتزالكوتل.. أنا أعرف هذه الأشياء فقد قرأت الكثير.. كنت مقيداً إلى عمود خشبي في مدينة أمريكية ما.. لعلها سيلم.. بينما النيران ترتفع من حولي والأهالي المتعصبون يلوحون بقبضاتهم.. كان رأسي على المقصلة والرعاك الباريسيون يتصايحون مطالبين بإعدام الكلب الأرستقراطي.. كنت أقف جوار زهران في دنشواي انتظر الأمر الذي يجعل المنصة تنزلق تحت قدمي لأتدلى من الحبل الغليظ...

رأيت ألف شيء ومث ألف مرة...

ولا أعرف كيف وجدت مقبض الباب ففتحته.. وسرعان ما وجدت نفسي في الردهة سليماً.. كنت ألث كثور ذبيح.. وكان العرق يغمرني.. لكنني رأيت طفلاً طبيعياً يركض في الردهة وهو يلعب بكرة فشعرت بأنني أستعيد روعي.. ليس تماماً.. لقد تجاوزنا منتصف الليل فماذا يفعله طفل بكرة وحده في الردهة؟...

قررت أن ألقى نظرة أخرى على الغرفة دون أن أخطو داخلها..

دنوت من مقبض الباب.. أدركته.. كان الظلام دامساً..

ثم اعتادت عيني الرؤية فرأيت غرفة عادية جداً من غرف الفندق.. مثل أية غرفة أخرى.. على الفراش كانت فتاة تغط في نوم عميق.. شيرين.. عرفت أنها من هيتتها العامة..

كل شيء على ما يرام.. كل شيء في موضعه.. لا يوجد ما يدل على أن الجدار انشق وأنني رأيت مستنقعات وبراكين وقبائل ومشانق...

أغلقت الباب وتراجعت..

هذه الغرفة غير طبيعية على الإطلاق.. ربما كانت هذه كلها هلوسة أو كانت نتيجة لعبث الشياطين.. النتيجة واحدة هي أنني رأيت الجحيم بعيني..

وعدت إلى منضدة الاستقبال صاحب الوجه.. قال مصطفى في ذكاء إنني صاحب الوجه.. لكم أمقت هذه الملاحظات الذكية..

كنت أحاول أن أثبت قدمي على أرض الواقع الزلقة.. أحاول أن أعرف من أنا وما الذي رأيته في هذه الليلة السوداء..

كان هذا عندما عادت شيرين من الخارج وهي مرهقة، تحمل كيساً مليئاً.. عادت؟.. طبعاً.. هي لم تخرج لكنها عادت.. ما هو الطبيعي والتقليدي في كل هذا الذي حكته؟

طلبت المفتاح مني.. إنه معلق هناك تحت رقم ٢٠٧.. لا مشكلة هناك.. ثم إنها طلبت من مصطفى ان يشغل لها المصعد..

«معذرة.. الكيس ثقيل.. ثم إنني وحيدة هنا ولا احد يساعدني..»

ونظرت لمصطفى نظرة ذات معنى.. نظرة أعرفها لأنني رايتها من قبل..

سبب خبيث جداً جعلني لا أتدخل ولا أحذره.. أردت أن يرى بعينه ما رأيت ويحكيه لي من دون تعصب مسبق..

هكذا لمعت عيناه ونهض يتناول منها الكيس.. وسرعان ما كان قد فتح المصعد الذي كان قد عطله، وسرعان ما كان يضيء الأنوار ويدعوها للدخول..

قبل ان ينغلق الباب لحقت بابتسامة غامضة توجهها لي.. ثم انغلق الباب وارتفع المصعد..

جلست نصف ساعة أحاول ان استجمع أعصابي.. صبيت لنفسى الكثير من القهوة وأشعلت لفافة تبغ وجلست أتأمل شاشة التلفزيون الموضوع في الصالة بعينين لا تريان.. نصف ساعة كامل تأخر مصطفى حتى بدأت أفكر جدياً في الصعود للغرفة أو طلب من يعاونني..

في النهاية تركت المنضدة كما هي ودخلت المصعد متجهاً إلى الطابق الثاني..

أين الغرفة رقم ٢٠٧ هذه؟... ما زالت حيث هي إذن...

وجدت مصطفى جالساً على الأرض جوار باب الغرفة وقد غطى وجهه بعينيه، أقرب إلى طفل تركته أمه جوار باب المدرسة ولم تعد.. كان يرتجف ويبيكي.... صوته مرتفع جداً....

لن تمر سوى دقائق حتى يخرج الجميع من غرفهم.. هكذا جثوت على ركبتى جواره ورحت أهديء من روعه.. كان قد فقد التحكم تماماً في عضلاته، وأدركت أنه فقد التحكم في جهازه البولي كذلك..

قال من بين عبراته وأناته:

«لم يحدث شيء.. أقسم بالله انه لم يحدث شيء..»

«ما الذي لم يحدث؟»

«كيف أعرف؟.. قلت لك إنه لم يحدث..»

الفتاة دعتة إلى الغرفة.. طلبت منه أن ينتظر حتى تدخل الحمام.. وقف هو في منتصف الغرفة يقنع نفسه بأنه أكثر ملاحه مما يعتقد.. لقد خلب لبها في دقائق..

تأخرت الفتاة أكثر من اللازم.. في الحقيقة تأخرت ما يقرب من نصف ساعة.. هكذا استجمع شجاعته ودق باب الحمام عدة مرات.. لا رد.. مد يده وفتح الباب.. وفي الضوء الخافت أدرك أنها تقف أمام المراة وظهرها له..

لم يجد الوقت الكافي إلا ليناديه مرة واحدة.. يا آنسة..

عندها استدارت له.....

و....

في التاسعة صباحاً جاءت شيرين محمود إلى فندقنا تطلب غرفة.. جاءت من الخارج وهي تحمل حقيبة ثقيلة.. لم يكن هذا غريباً.. لقد صارت عاداتها أن تأتي من دون أن تذهب.. تدخل من دون أن تخرج...

تبادلت النظرات مع مصطفى.. بدا لي أنه يوشك على الصراخ والفرار لكنه تمالك نفسه.. قلت للفتاة في صبر مستجمعاً كل ما أملك من أعصاب:

«طبعاً أنت مهندسة ديكور وتشعرين بوحدة؟»

وضحكت ضحكة خبيثة لكنها قالت في برود:

«هذا ليس من شأنك..»

فتحت الدفتر بحثاً عن اسمها.. لم أجده!... لا توجد غرفة شاغرة إلا الغرفة رقم ٢٠٧.. لكننا نعرف ما يوجد في هذه الغرفة.. مصطفى رأى بوضوح ما يوجد فيها.. أوشك على الإصابة بصدمة عصبية.. ولقد ظللنا نصف ساعة جالسين على الأرض في الردهة نرتجف ونقسم أننا لن ندخل هذه الغرفة أبداً بعد اليوم (وهو قسم حنثت به مراراً بعد هذا)..

مصطفى لا مني كثيراً على إنتني لم أنذره.. قال إنتني (مش جدع)، وإنتني تركته يرى أشنع مشهد رآه في حياته.. مصطفى فكر في الاستقالة.. في طلب الشرطة.. في طلب المطافئ.. في إخبار المدير.. لكنني ثنيتة عن كل هذه المشاريع المجنونة.. لن يصدقنا أحد وعلى الأرجح سنجد في الغرفة فتاة طبيعية باسمه هائلة لا تعرف أى شيء عن كل هذا..

رفعت سماعة الهاتف وطلبت خادمة الغرف وطلبت منها أن تفتح الغرفة ٢٠٧ وتنظفها..

لو كانت شيرين هناك - مع إنها أمامي هنا - فليسوف نعرف ذلك حالا..

ابتسمت الفتاة الواقفة أمامي وقلت:

«أرجو ان تستريحى بعض الوقت حتى يتم إعداد الغرفة..»

نفخت من بين شفتيها في تملل واتجهت إلى أحد المقاعد الوثيرة وجلست عليه..

ممثلة بارعة.. كأنها ترانا للمرة الأولى..

بعد ربع ساعة رفعت سماعة الهاتف أطلب خادمة الغرف، فقالت إن الغرفة جاهزة.. سألتها عما إذا كان هناك شيء مريب فلم تفهم سؤالي أصلاً.. قالت إن كل شيء على ما يرام..

هكذا أشرت للفتاة كي تصعد.. بينما ظل مصطفى حيث هو يرمقها في رعب بعينين متسعتين مجنونتين..

«ألن يصحبني أحد إلى الغرفة؟.. أي نوع من الفنادق هذا؟»

قلت لها بلهجة ذات معنى:

«حسبتك تعرفين المكان..»

قالت في ضيق:

«ما الذي تلمح له؟... أنا لا أفهم معظم كلامك لكنه مستفز.. خذ الحذر في التعامل معي ولا شكوتك للإدارة..»

هكذا نهض مصطفى إلى المصعد وقد بدا كأحد الذاهبين إلى المشنقة.. ولمحت في عينيه لحظة انغلاق الباب نظرة استغاثة..

هذه الفتاة مصممة على أن نجن.. المشكلة انه لن يصدق أحد على الإطلاق ما رأيناه ليلة أمس.. لا يمكن طلب العون أو النجدة أو أي شيء..

علينا ان نتحمل وأن نقاوم أي إغراء لدخول تلك الغرفة..

عندما عاد لى مصطفى بعد عشر دقائق جلس منهكاً يلتقط أنفاسه وقال:

«بنت الـ (...). قمة في البراءة.. تتصرف كأنها لا تعرف أي شيء عنا ولا عن الفندق..»
«لابد أنها تعد مقلباً ما لنا..»

كانت نوبتجيتنا قد انتهت على كل حال، لذا صعدت إلى غرفتي والتهمت وجبة الإفطار التي تركوها لي على الباب ثم غبت في نوم عميق.. لم يكن عميقاً جداً لأنني رحت أتلقى زيارات من الشيطان ومن كل الغيلان التي رأيتها أمس.. كنت أرى أمي تقف أمام مرآة الحمام وظهرها لي ثم تلتفت وتقول: ابني حبيبي!.. فأكتشف أنها لا تمت لأمي بصلة.. كنت أنهض صارخاً ثم أرى نور الصباح يغمر الغرفة فأهدأ قليلاً...

فقط كانت كل كوابيسي تحمل رقم ٢٠٧.. رقم ٢٠٧ يتلاعب في كل صوب وفي كل اتجاه..

ولم أكن في ذلك الوقت أحمل شيئاً من التوجس نحو الغرفة.. كنت أخشى الفتاة كالموت لكنني كنت أعتقد أن الغرفة بريئة..

كنت استجمع كلمات مصطفى عما رآه عندما رأى الفتاة أمام المرآة:

«لم يكن هذا وجهاً بشرياً.. كان شعرها ملتفاً كأسلاك الكهرباء.. عيناها ليستا في الحجرين وهناك شرر يخرج منهما.. جلدها بلون الفحم... لقد كان أشنع ما رأيت في حياتي»

بدأ لي هذا خيالاً سانجاً مريضاً لكنني لم استطع السخرية منه.. أنا كنت في الغرفة ورأيت أشياء عجيبة بدوري..

قال مصطفى بعد أن أنهى قصته:

«الفتاة جنية.. هذا مؤكد.. في قريتي يحكون أشياء مماثلة.. كل الجنيات يحاولن إغراء الشباب مثلي.. الشباب (اللي زي الورد)... فإذا خضع لهن الشاب كانت نهايته»

لم يكن رأيي أنه (شاب زي الورد) أولاً.. ثم إن معظم هذه القصص من تأليف الأمهات والخالات والعمات، وهي مناسبة لهن نفسياً.. عندما تظهر فتاة حسناء تخطف رجل البيت الشاب ليصير العوبة بين أناملها.. هذه الفتاة بالنسبة للأمهات والعمات والخالات لا يمكن إلا أن تكون غولة أو جنية.. سل أية أم عن رأيها في زوجة ابنها ولسوف تؤكد أنها إلى الشياطين أقرب.. إنه رجل القبيلة وعليها أن تحميه من أن تخطفه أنثى من قبيلة أخرى..

حتى المساء لم تحدث أشياء غريبة.

عادت شيرين من جولة على الشاطيء وكانت فاترة جداً معنا.. أخذت المفتاح بوجه جامد كالصخر، ثم سألتنا عن قابس الحمام الذي لا يعمل..

«هل يمكن أن ترسلوا من يصلحه؟»

قال مصطفى دون أن يرفع عينيه عن المنضدة:

«نعم.. نعم.. وأنت ستكونين في الحمام أمام المراة طبعاً!»

نظرت له وتقلص وجهها في قرف.. ثم نظرت لي وقالت:

«أية مراة وأي حمام؟.. أنتما مخبولان تقولان كلاماً لا افهم حرفاً منه..»

ثم قالت في حزم:

«لو لم يأت فني الصيانة أو الكهربائي ليصلح هذا الخلخل الليلة فلسوف أشكوك أنت..»

ثم انصرفت..

تبادلت النظر مع مصطفى.. هذه هي قصة الليلة.. سوف نبعث (الشبراوي) كهربائي الفندق لغرفتها ولسوف يعود صاحب الوجه يحكي لنا قصة مرعبة أخرى..

على أنني بعد ساعتين خشيت من أن تسبب لنا هذه المخبولة مشاكل أكثر لذا اتصلت بالفني طبعاً، وطلبت منه أن يصحب معه مساعداً.. المهم ألا يكون وحده.. فهذه الفتاة على قدر من الجنون..

لا داعي لأن احكي ما حدث بعد هذا.. كيف اتصل بي الكهربائي مذعوراً.. كيف جريت إلى الطابق الثاني.. كيف دخلنا الحمام لنجد الفتاة على الأرض المبللة.. كانت ترتدي الروب ويبدو أنها أخذت حماماً ثم قررت أن تجفف شعرها بالسيشوار.. كيف قامت بتثبيت الفيشة كيفما اتفق في قابس تالف.. كيف تلقت صدمة كهربية على قدمين حافيتين فوق بلاط مبتل... كيف سقطت على الأرض وكيف بدا وجهها...

«لم يكن هذا وجهاً بشرياً.. كان شعرها ملتقاً كأسلاك الكهرباء.. عيناها ليستا في الحجرين وهناك شرر يخرج منهما.. جلدها بلون الفحم... لقد كان أشنع ما رأيت في حياتي»

هذا يفسر الشرر.. والوجه الذي يراه مصطفى الآن هو ذات الوجه الذي رآه أمس..

وعندما انصرف رجال الشرطة وهدأت الضجة، جلست مع مصطفى في الاستقبال - مكاننا المعتاد - نناقش ما حدث..

الغرفة رقم ٢٠٧ لم تخف أسرارها.. لقد أخبرتنا بالضبط بما سيحدث عند منتصف ليل الغد.. ما رآه مصطفى كان رؤيا واضحة لما سيراه... كانت هناك فتاة اسمها شيرين.. فتاة ستقيم في الغرفة ٢٠٧ وسوف تلقى نهايتها فيها.. الغرفة قدمت لنا ذات العرض قبله بأربع وعشرين ساعة.. بل إنها جعلت مصطفى يرى وجه الفتاة لحظة موتها..

الفتاة التي جاءت في التاسعة صباحاً كانت شيرين الحقيقية.. شيرين التي لا تعرف أي شيء عما رأيناه، وليست لديها أية فكرة عما ينتظرها.. كنا نتكلم في غموض وخبث لكنها بالفعل لم تملك أية فكرة عما نتكلم عنه... حسبتنا وغدين يتظران..

لم يكن الخطأ في الفتاة..

الخطأ كان في الغرفة..

الغرفة التي قال مصطفى إن هناك من مات فيها ميتة شنيعة في زمن ما، وقال عم مينا المحاسب العجوز إنها أحد أبواب الجحيم، وأنه يكفي أن يبيت فيها أحد حتى ينفتح ذلك الباب الموارب لتدخل منه الأرواح، ورأيت أنا أن الموضوع يتعلق بالجان أو الشياطين..

الغرفة ٢٠٧.. التي كانت لي معها قصص عديدة ليست هذه بآخرها ولا أشنعها.. فقط انتظروا لقاءنا القادم لتعرفوا أكثر.

لعب عيال

ربما لم تكن هذه آخر قصصي مع الغرفة ٢٠٧ ولا أولها..

ذكرياتي مع تلك الغرفة يوم طويل متصل لا أنكر شيئاً عن تلاحق أحداثه.. والأهم أن أحداً لا يبالي البتة بما أحكيه.. كلما حكيت هذه القصة لمضيفة جديدة أو شاب يقف معي في الاستقبال ابتسمت أو ابتسم في تهذيب.. هذه الابتسامة يعرفها الشيوخ المخرفون جيداً.. ابتسامة تعني: «أنا لا اصدق حرفاً مما تقول، لكنك في سن أبي وعلي ألا اظهر علامة على السخرية.. أنت في سن أبي وأنا قد تربيت جيداً.. أنت في سن أبي وإظهار تصديقي لك نوع من الزكاة.. احتياط حتى لا يفعل معي أبنائي نفس الشيء يوماً»

كنت أعرف أن الغرفة صامتة، لكنها سوف تعلن عن أحد أسرارها قريباً جداً.. غرفة بهذه الطباع العجيبة لن تبقى صامتة للأبد...

وقد كان...

الأسرة التي جاءت لتقيم في الفندق في ذلك اليوم.. وكان يوم خميس.. كانت تتكون من عدة أفراد.. زوج وزوجة.. ثلاثة أطفال.. ثم امرأة وحيدة..

الزوج من الطراز الذي يمكن تلخيصه بـ (بدين - أصلع - شارب - مرح)، وهو طراز ينتجونه بالجملة في مكان ما، لكن هذا الطراز كذلك يمكن أن يكتب ويكون اكتئاباً قاسياً.. هذه أمور تتعلمها من ملاحظة الناس، وتتعلمها من الكتب.. يبدو أنهم يطلقون على هذا الطراز (العصاب الاكتئابي الانبساطي) أو شيئاً من هذا القبيل.. الزوجة نحيلة جداً عصبية شاحبة كأن الزوج يلتهم طعامها بلا انقطاع.. هذه سمة أخرى شبه دائمة لزوجات هذا النوع من البشر..

الأطفال لا يميزهم شيء.. أطفال صاخبون مزعجون وقحون، تتراوح أعمارهم بين الخامسة والحادية عشرة.. أما السيدة النحيلة فهي سيدة نحيلة.. يمكن بشيء من الذكاء أن تدرك أنها أخت الزوجة.. نحيلة جداً عصبية مثل أختها، لها وجنات بارزة وبشرة شاحبة

تشى بالمرض.. مشكلة هؤلاء الذين يصابون بنحول شديد هو أن عيونهم تحتفظ
ببريقها واتساعها.. عندما يهزل الوجه وتضمر الجفون تصير هاتان العينان جامحتين
ثاقبتين مخيفتين..

قال لي الزوج وهو يخرج بطاقته العائلية إن اسمه (رأفت عبد الباقي).. مهندس من
القاهرة.. المدام... وأخت المدام..

كانوا قد حجزوا هاتفيًا غرفتين منذ زمن.. اختار هو وزوجته الغرفة رقم ٢٠٥.. الغرفة
٢٠٧ سوف تقيم فيها أخت المدام..

ثم أشار إلى طفلة التي في التاسعة من عمرها وقال:

«(لبنى) ستقيم مع خالتها.. إنها مولعة بها..»

ترتيب لا بأس به.. أي أنه وزوجته مع طفلين سوف يقيمون في غرفة، بينما تقيم الخالة
وطفلة واحدة في غرفة أخرى.. قرعت الجرس كي يحمل (مصطفى) الحقائب إلى المصعد..

«٢٠٥ و ٢٠٧ يا مصطفى»

نظر لي نظرة ذات معنى وهو يحمل الحقائب.. لا أحد منا يجرؤ على التشكيك في الغرفة
٢٠٧ لكننا ننزعج كلما سمعنا الرقم..

فقط تمهل الطفل الأكبر قليلاً ليتفحص أحد التماثيل في اللوبي.. ثم عبث بمزهريه فكاد
يهشمها.. وجدت أن أبويه بعيدان، فغادرت الكاونتر ووقفت جواره وقلت همساً وعيناى
تشعان ناراً:

«لو تحطم شيء هنا فلسوف أحطم رأسك..»

نظر لي في تحد وقال من بين أسنانه:

«فلترني ذلك!»

هنا عرفت أنني سأقاوم بشدة رغبتى في أن ألقى هذا الشيطان في بئر المصعد.. الأطفال
مزعجون بما يكفي، ولكن ماذا عن الطفل المزعج الوقح؟..

هنا سمعت الأم تنادي بصوت رفيع مرتعش:

«أكمال!.. تعال هنا»

اسمه أكمل؟.. سوف أطلق عليه في سري اسم (أنقص)، وأمضي الليلة في تخيل عملية قتله والتخلص من جثته.. ليس قتله هو المطلوب فحسب بل يجب أن يعرف أنه سيموت!!
هكذا عدت إلى عملي المعتاد ونسيت كل شيء عن هذه الأسيرة، وهم لم يغادروا الفندق في تلك الليلة على كل حال...

فقط في الحادية عشرة مساء اتصل بي أحد النزلاء في الطابق الثاني، وقال مغضباً:

«لماذا لا تفعلون شيئاً لهؤلاء الشياطين؟»

«أي شياطين؟»

«الذين يتسابقون في الردهة!.. هناك ستة أطفال لا يكفون عن الركض والصراخ ولعب الكرة في الممرات..»

كان (بيومي) رجل الأمن المنوفي واقفاً على الباب يدخل لقافة تبغ في الهواء الطلق، فناديتة وطلبت منه أن يصعد ليزجر هؤلاء الصبية بالطابق الثاني..

عاد بعد قليل وهو يسب ويلعن، معلناً أن القيامة ستقوم هذا الشهر على الأرجح..

«عيال في منتهى قلة الأدب..»

كنت مشغولاً في تدوين بيانات نزيل جديد، فهزرت رأسي موافقاً.. أردف:

«أطفال ثلاثة نزلاء قد احتشدوا معاً وكونوا عصابة حقيقية.. يلعبون الكرة.. يصرخون ويتصارعون ويدقون على كل الأبواب.. لقد حاولت السيطرة عليهم فلما فشلت طلبت من كل أسيرة أن تربي ولدها جيداً.. الغريب أن الآباء لا يهتمون، وقد غضبوا لأنني طلبت منهم التدخل.. إنها حمية الجاهلية: فليخطيء ابني كما يشاء وليس من حق أحد لومه أو نصحه..»

هزرت رأسي من جديد وغمغمت:

«حمية الجاهلية.. نعم.. نعم..»

لكني نسيت الأمر بعد دقائق.. ليست هذه أول مرة يحدث فيها شيء كهذا، فلا تنس أنني موظف استقبال مخضرم..

في الثانية بعد منتصف الليل حدث شيء غريب..

كنت نائماً على المكتب، عندما سمعت صوت صخب وضوضاء.. رفعت رأسي فوجدت ذلك الصبي (أنقص) المزعج يركض وهو يبكي ويولول نحو باب الفندق.. كان يعتزم الخروج..

نهضت وركضت وراءه واستوقفته عند الباب الزجاجي.. لكنه كان في حال غير طبيعية.. المخاط يبيل وجهه مع الدموع.. وأوشك على أن يعض يدي التي تمسك بمعصمه.. ثوان ثم ظهر الأب قادماً من مكان ما..

سره أنني قبضت على الصبي.. ولكنه كان راغباً في ألا يشرح أي شيء وأن ينتهي الموضوع سريعاً..

«لا مؤاخذه.. سوف أتولى الأمر..»

سأله في غباء:

«هل من مشكلة ما؟»

قال بسرعة وهو يجر الصبي كأنه يجر ثوراً برياً:

«لا مشكلة.. لعب عيال كما تعرف..»

لكن الصبي نظر لي نظرة أخيرة مستغيثة قبل أن يلحق بأبيه في المصعد.. وانغلق الباب ومعه انغلق كتاب أسرار عائلية لا أعرفها ولا يهمني أن أعرفها..

البيوت أسرار.. لكنني على كل حال كنت سعيداً بأي شيء يثير ذعر ويبكي هذا الصبي المشاغب..

ونظرت إلى موظف الأمن الذي كان غافياً فأيقظته الضجة.. قال لي وهو يتثائب:

«خليهم يتربوا».

ثم عاد إلى النوم راضياً عن مستقبل الطفولة في مصر..

عدت إلى الكاونتر وفتحت جهاز التلفزيون العتيق الذي لا يقدم إلا القناة الأولى مهزوزة.. دعك من أننا كنا في عصر ما قبل التلفزيون الملون، هنا وجدت أن الإرسال قد انتهى.. أطلقت زمجرة، وأغلقتة وعدت إلى المنضدة لأتوسد ذراعي من جديد..

كنت في عوالم أخرى.. ربما كنت في دمنهور مع أبي وأمي.. ربما كنت في فرنسا مع (مارلين) الحسناء أيام سفر الطلبة إياها.. ربما كنت في القبر. المهم إنني لم أكن هنا..

وكما يحدث لمن ينامون بعمق تسالت تلك اليد الصغيرة إلى الحلم لتكون من مكوناته..
كان هناك طفل في الحلم يهزني بلا انقطاع، ويكرر: عمو.. استيقظ يا عمو.

ثم عدت لعالم الواقع لكن اليدين ظلتا معي.. حينما فتحت عيني كان (أنقص) هناك جوار
الكاونتر ينظر لي بعينين متسعيتين مذعورتين..

كان مرتدياً منامته وحافي القدمين.. الأمر الذي جعلني أوقن أننا بصدد ما هو أكبر من
لعبة أطفال..

قال لي بنفس العينين المتسعيتين:

«عمو.. انا خائف!»

القصة التي حكاها (أنقص) الذي كان (أكمل) قبل أن يشير غضبي.. كانت كالتالي:

لقد لعب كثيراً في الردهة أمام الغرفة بينما كان أبوه وأمه منهمكين في تفريغ الحقائق،
وانتقاد الغرفة.. خالته كذلك كانت منهمكة في غرفتها..

لعب مع أخته وأخيه الأصغر سناً، وبحكم السن كان هو الأوسع تجربة والأقوى
شخصية كأنه يكبرهما بقرن... خرجت الكرة الصغيرة من مكان ما. وبدأ الجري والصياح
والصراخ في الممرات.. بعد قليل انفتح باب الغرفة المجاورة وخرج صبي في التاسعة..
وقف يرمقهم وفي عينيه شقاوة، ثم انضم للعب دون أن يطلب الإذن.. بعد قليل خرجت
فتاة من غرفة أخرى ففتاة أخرى..

سرعان ما صار هناك فريق كامل من المتحمسين يجرون ويصيحون ويتبادلون
قذف الكرات..

انفتحت أكثر من غرفة ليظهر وجه رجل غاضب محمر الخدين:

«بس يا ولد...!»

أو امرأة غاضبة تلف شعرها بشبكة:

«اتربى يا حمار!..»

وهي أساليب تربوية ليست ذات نفع كبير.. وقد صعد لهم موظف الأمن لكنه قوبل
بلا مبالاة، وعندما شكوا للأهالي حدث ما يحدث مع كل مصري.. ابني يفعل ما يشاء
وقتما يشاء..

هكذا بقى الوضع على ما هو عليه، وإن بدأ الأهل يتعبون وأغلقوا عليهم الحجرات.. حركة الأطفال قلت بدورها أكثر وإن ظل النعاس بعيداً عن عيونهم. السبب؟.. لأنهم شياطين جديرة بالحرق..

خرجت الخالة النحيلة من الغرفة ٢٠٧ وصاحت في الطفلة (لبنى):

«بنت يا لبنى...!.. ألن تأتي للنوم؟»

توسلت لها (لبنى):

«فقط أتركيني بعض الوقت يا خالتي.. لا أشعر بنعاس»

نظرت لها المرأة في حدة، ثم أغلقت الباب وهي تقول بلهجة غير رقيقة على الإطلاق:

«ليكن.. لكن لو نمت ولم أشعر بك فعليك أن تنامي مع أمك»

ودوى صوت المزلاج وهو ينغلق خلف الباب..

لكن الأم والاب كانا يفتقران إلى الحزم.. ربما انهما في شيء آخر.. المهم أنهما تركا الأطفال على راحتهم...

كان الأطفال الآن محمري العيون يبحثون عن لعبة مثيرة جديدة.. نوم الكبار يشعرك بأن الدنيا انتهت وأنه لم يعد هناك سوى الملل... كانوا الآن يلعبون في الردهة المجاورة... ابتعدوا عن الغرفتين كثيراً على كل حال فلم يعد أحد يراهم...

قال لهم (أنقص) هامساً:

«اسمعوا.. عندي فكرة..»

وارتسمت على وجهه ضحكة شيطانية..

كان (أنقص) قد دخل غرفة الخالة ظهر اليوم وفهم جغرافيتها جيداً كأي لص محترف..

هناك باب بالحجرة يطل على شرفة.. والشرفة طويلة تحتل جانب الفندق بالكامل.. أقرب إلى الممر الذي يصل بين الغرف كلها.. فقط هناك فاصل من الطوب بين نطاق كل غرفة وجارتها، فوقه شبكة خشبية ترتفع متراً عن الأرض.. هذا يشكل عقبة بالنسبة للإنسان مهذب متحضر، لكنه لا يشكل أية عقبة بالنسبة للص أو طفل شيطاني له طباع لص..

هناك مدخل للشرفة في البهو.. تدخل فتجد ذلك الحاجز الوهمي عن يمينك وعن يسارك.. والبحر أمامك..

هكذا قال للأطفال:

«سوف نلعب لعبة على خالتي.. إنها عصبية جداً تؤمن بالعفاريات والجان.. لديها قصص لا تنتهي عن هؤلاء الذين تقابلهم في دورة المياه.. على السلم.. في المطبخ.. بالنسبة لها ليس هناك مكان من دون عفريت..»

سألته طفلة في العاشرة:

«وهل هناك عفاريات حقاً؟»

فكر حيناً ثم قال:

«أبي يقول إن هناك عفاريات.. لكنه كذلك يمنعنا من أن نتكلم عن الموضوع.. يضربنا إذا ذكرنا هذه الأشياء..»

«وهل يضرب خالتك؟»

«لا يقدر على ذلك لأنها كبيرة.. ثم إنها عصبية.. أعتقد أنها تستطيع ضربه..»

هنا سأله طفل آخر:

«هل والدك يحب خالتك؟»

«لا.. يقول لامي إنها مصرة على أن تصحبها في كل مكان معنا.. هو متضايق من ذلك»

ثم نظر إلى ابني أخته محذراً:

«لو قلت كلمة من هذا لخالتي ساكسر دماغك!»

ثم نظر إلى الأطفال وقال في حسم:

«هيا بنا»

هكذا تسللوا إلى الشرفة العامة.. كان البحر يهدر من بعيد كوحش مجنون لا يهدأ ولا يريد أن يهدأ.. في الظلام يبدو البحر أكبر من الواقع.. أكبر من الحياة ذاتها..

كانوا قد بدأوا يرتجفون عندما تسلق (أنقص) ذلك الحاجز بين الشرفتين.. لا.. لم يكن هناك من خطر على حياته.. إن سقط لن يسقط من أعلى.. فقط هي عملية تحتاج إلى قدر من اللياقة والحذر حتى لا تمزق ثيابك..

أخيراً وثب إلى شرفة الغرفة ٢٠٧.. واستدار إلى رفاقه الذين يقفون في الجزء العام من الشرفة وطلب منهم أن يحدوا حذوهم..

هكذا تواب الأبطال جميعاً وهم يحبسون أنفاسهم من الإثارة إلى الشرفة..

كان باب الشرفة موارباً.. لم يكن مغلقاً..

من الداخل هناك إضاءة خافتة... شيء ما يتحرك...

دنا (أنقص) من الفتحة التي لم تكن تسمح إلا بواحد ينظر..

هنا انتفض كأن ثعباناً لدغه..

التفت إلى الأطفال وصرخ بصوت هامس:

«هيا!.. فلنعد بسرعة!»

تراجع الغزاة الصغار من دون نظام وهم لا يفهمون ما هنالك.. من أراد أن يسأل تلقى أمراً بأن يخرس ويجري..

وسرعان ما كان الجميع يتسلقون عائدين إلى الشرفة..

(أنقص) كان يرتجف ويبكي بلا انقطاع..

وعندما التفوا من حوله يسألونه عما هنالك لم يرد.. فقط قال لهم:

«إنه شيء مريع.. مريع!»

ثم تركهم وجرى نازلاً إلى الاستقبال..

بعد قليل لحق به الأب عندما حاولت منع الصبي من الخروج إلى الشارع..

قربت رأسي من الصبي المذعور ونظرت في عينيه الواسعتين وسألته ضاغطاً على كلماتي:

«وماذا رأيت؟»

«هه؟»

«ماذا كانت خالتك تفعله؟»

قال وهو ينظر إلى الفراغ:

«كانت جاثية على ركبتها.. يقف أمامها كائن عملاق.. كائن ارتفاعة كهذا الباب.. له مخالب وجناحا وطواط.. لم أر وجهه لكنني أعتقد انه يشبه الشيطان ذاته.. إضاءة الغرفة لم تكن طبيعية.. عيناها كانتا متسعيتين مليئتين بالشر والتوحش.. كانت تركع أمامه.. تقدم له فروض الولاء.. في هذه اللحظة شعرت بأن هناك شيئاً ما.. رأيت عينيها تستديران لي.. عيناان حمراوان بلون الدم.. ثم كشرت عن أنيابها.. لم أر أسناناً بيضاً بهذا الشكل من قبل.. كان منظرها أقرب إلى نثب غاضب.. ثم شعر الشيء باتجاه نظراتها فنظر إلى الخلف.. أعتقد أنه رأي.. أعتقد أنه عرف من أنا..»

ثم انفجر الصبي المسكين في البكاء..

لو كان من يسمع القصة واحداً غيري لضحك واتهم الصبي بالسخف، لكنني أعرف أولاً أن هذه الدموع حقيقية.. حتى سير لورانس أوليفيه نفسه لن يمثل بهذه البراعة.. لن يستدعي الدموع بهذه السهولة.. كلا.. الصبي لا يلعب معي لعبة سخيفة.. هذا مؤكد.. ثانياً أنا أعرف الغرفة ٢٠٧ اللعينة.. لو كانت لدى تلك المرأة أية علاقة بالشياطين أو الجان فالغرفة ٢٠٧ هي المكان الأنسب لظهور هذه الموهبة.

لقد شعرت به.. كلنا شعرنا به.. ذلك الشيء الغامض الجاثم كالكابوس على الغرفة ٢٠٧..

كان من حظ الصبي العاثر أن اختار هذه اللحظة بالذات ليداعب خالته الحبيبة..

قال لي بعينين دامعتين:

«أنت لا تصدقني يا عمو»

داعبت شعره وقلت:

«بل أصدقك يا بني.. أصدقك جداً»

سألت الصبي:

«هل أخبرتك أباك بما حدث؟»

قال إنه لم يجسر.. كان يشعر بذعر جعله لا يثق بأحد.. فقط أراد أن يفر بلا تعقل وبدون أن يعرف إلى أين.. هو يعرف إجابة أبيه على كل حال: (عيب يا ولد)..

الكبار لا يصدقون هذه الأمور.. ربما لأنهم أغبياء.. ربما لأن خيالهم قد مات..

عدت أسأله:

«كيف جئت هنا؟»

قال وهو يرتجف:

«لقد أغلقوا الحجرة وأخلدوا للنوم.. لكنني ظللت في الظلام أتذكر ما رأيت.. ثم تذكرت شيئاً: لبنى مع خالتي في ذات الغرفة المجاورة!... أصابني الهلع ولم أعرف ما أفعله.. تسلفت من الحجرة حافي القدمين وجئت هنا»

نعم.. لا بد من عمل ما لكن ما هو؟

قبل أن أفكر وجدت الأب قادمًا.. أصلع بدينًا يضع الروب على منامته وقد بدا عليه التوتر.. قال لي في حرج:

«فعلاً أنا آسف على كل ما سببناه لكم.. لا بد أنكم لم تروا زبائن مثلنا..»

كان مهذباً لكن نظرة جانبية للطفل قالت لي إنه ينتظر صابراً حتى ينفرد به.. عندها يزيح قناع اللطف جانباً ويكشف عن الأب العتيد..

ابتسمت وقلت متظاهراً بالظرف:

«بالعكس.. إن (أنق...) (أكمل) ولد ظريف شجاع..»

ثم كلمت الطفل على طريقة برامج الأطفال:

«سوف يعود لغرفته وينام.. إن يوماً شاقاً ينتظره غداً على الشط.. لعب وسباحة و.. و.. فقط عد لحجرتك إلى أن أنتهي من الكلام مع بابا»

نظر لي الصبي نظرة مستغيثة ذكرتني بنظرته عندما ابتعد مع أبيه في المرة الأولى، وسرعان ما كان يصعد على الدرج إلى غرفته.. ضعيفاً واهناً حافي القدمين.. يصعب أن تشعر نحوه بحقد حقيقي..

توقف الأب قليلاً وهو يرمق ابنه يبتعد، ثم عبث في جيب الروب فأخرج علبة تبغ..
ناولني لفافة ودس في فمه أخرى.. ثم قال:

«خيال الأطفال لا ينتهي عند حد.. ماذا قال لك؟»

نفثت سحابة من التبغ وقلت:

«حكى لي عن خالته.. عن ولعها بالعفاريت والجان، ثم يزعم أنه وجدها تسجد أمام
شيطان أو جني في الغرفة»

نفث دخان السيجارة بدوره وقال:

«خيال الأطفال!.. هذه المرأة أفسدت دماغ العيال بقصصها التي لا تنتهي.. اسمع.. أنا
لست طبيباً نفسياً لكني سمعت الكثيرين منهم.. عندما تتقدم السن بالفتاة بلا زواج فإنها
ترى رؤى ذات طابع جنسي تلقي بها على كاهل التفسيرات الخوارقية.. هل تفهم ما أقول؟»

«لا..»

قال منتقياً كلماته:

«هذا يفسر لك كل قصص الفتيات اللاتي تزوجن من ملك الجان.. ملك الجان الذي
يخرج من الحائط قبل الفجر.. هذه مجرد رؤى جنسية لإخراج الضغط المكبوت.. أخت
زوجتي تعتقد أنها متزوجة من جني وأنه يزورها من حين لآخر..»

قلت في عصبية:

«كل هذا جميل.. المشكلة أن ابنك رأى ذلك فعلاً!!»

«إنها تتكلم أمام الأطفال بلا حذر.. وقد زرعت هذه الصورة في وجدانهم.. دعني اقل
شيئاً آخر هو أن الأشخاص المصابين بالعصاب يملكون قوة تأثير هائلة.. قوة (ليبيدو)..
هل تفهم ما أقول؟»

كالعادة هو يفترض أنني حمار لمجرد أنني موظف استقبال، غير عالم أنني قرأت كل
كتاب وقع في يدي وثقافتني لا يستهان بها.. هناك قصة مهمة لـ (ناتانييل هوثورن) تحكي
عن شيء كهذا.. الفتاة المحرومة من الزواج، وكيف استطاعت أن توقع الطبيب في حبائلها
عندما راحت تحديق في وجهه بعينيها الثابتتين وتردد: «أنت تحبني.. أليس كذلك؟.. هه..»
أنت تحبني.. أليس كذلك؟.. هكذا وجد نفسه هائماً بها..

قلت له :

«أفهم.. إن تأثيرها هائل على الآخرين كأنها ساحرة»

«نعم.. لهذا يصدق الكل ما تقول.. والأطفال يصدقون افضل من سواهم»

ثم دفن لفافة التبغ في المطفأة وهز رأسه وابتعد..

في الصباح خرج الجميع إلى الشط...

منتعشين متفائلين.. حتى الصبي بدا لي مجرد طفل مزعج من جديد.. كائن شهواني لا يريد إلا أن يسبح في البحر للأبد..

عندما خرج الجميع من الباب الزجاجي، انهمكت في كتابة بعض الأوراق.. عندما شعرت بأن هناك من يقف أمامي.. رفعت رأسي في حذر فوجدت نفسي أحرق في العينين الواسعتين المتوحشتين للخالة النحيلة.. لقد عادت وحدها..

ارتجفت.. من المفاجأة ولأن التعبير على وجهها يوشك أن يكون شيطانياً..

قالت بصوت كالفحيح:

«اسمع.. لا أعرف ما قاله لك الصبي.. لكنني أنذرك.. لو خرج هذا الكلام عن صدرك فلسوف أمزقك بأسناني.. أمزقك!»

ارتجفت وسقطت الأوراق من يدي.. قبل أن اتكلم أو اطلب تفسيراً كانت قد غادرت المكان..

هذه المرأة غير طبيعية فعلاً.. قوة تأثيرها كاسحة..

والأهم أنها أعطتني إنذاراً لا شك فيه.. آخر شيء تريده في العالم هو أن يعرف أحد بما رآه الصبي..

لكن ما الذي رآه الصبي فعلاً؟... هستيريا من خياله أم هو ملك الجان فعلاً؟..

لا بد أن أرى بنفسي..

مخاطرة مروعة لكنني لن أستريح حتى أعرف..

كانت نوبتجيتي قد انتهت فعدت إلى غرفتي ونمت..

في المساء كانت الأسرة كلها في الخارج، لكنني وجدت أن مفتاح الغرفة ٢٠٧ غير موجود..

لقد عادت الخالة وحدها.. فلماذا؟

كانت الفرصة ذهبية لإرواء فضولي.. طلبت من مصطفى عامل المصعد أن يأخذ مكاني خلف الكاونتر، وأخذت المصعد إلى الطابق الثاني..

كانت الغرف خالية والردهة كذلك.. هذه هي الساعة التي يجول فيها النزلاء على الكورنيش أو يقضون امسيتهم في مكان ما.. سيعودون قريباً جداً.. لكن هذه المرأة وحدها في غرفتها وأنا أريد أن أعرف...

لا أعتقد أنني سأجد ملك الجان.. لكن الخطر كل الخطر هو أن يراني أحدهم. معنى هذا هو الطرد بلا نقاش..

الطريق كان سهلاً لأن الصبي وصفه لي من قبل.. لم أكن أعرفه لكنني وجدت أنه سهل جداً وأن إدارة الفندق حمقاء.. يمكن لسهولة سرقة أية غرفة في هذا الجانب المثل على الشرفة..

وثبت عابراً الحاجز.. أنا الآن في شرفة الغرفة ٢٠٧..

دنوت من الشيش الموارب.. اختلست نظرة حذرة.. هذه الأصوات تبدو مألوفة..

هنا وثبت إلى الخلف كما وثب الصبي ليلة أمس..

سرعان ما كنت أقفز فوق الحاجز عائداً إلى الاستقبال وقلبي يتواثب في صدري..

«الأشخاص المصابون بالعصاب يملكون قوة تأثير هائلة.. قوة (ليبيدو)».. هل تفهم ما أقول؟».. قالها الأب لي ليلة أمس ولم يكن بعيداً عن الحقيقة.. والصبي؟.. هذا نوع مما يسمونه فقدان الذاكرة الهستيرى.. لقد رأى مشهداً لم يستطع تصديقه لذا قام عقله بتلفيق مشهد لا وجود له وصدقه.. خالته راکعة امام ملك الجان... لم يكن يقدر على الاعتراف لنفسه بالمشهد الحقيقي..

لقد عادت الخالة.. ويبدو أن هذا كان الحل الوحيد.. هناك شخص آخر عاد بحجة فارغة.. وبعد قليل سيغادر الفندق ليلحق بأسرته التي تنتظره في مكان ما..

المشهد الذي رآه الصبي ورأيته أنا هو الخالة بين ذراعي الأب!

يمكنني أن أتخيل الأب وهو يتسلل عبر الشرفة ليلة أمس ليكون في الغرفة المغلقة مع
 اخت زوجته.. يمكنني أن أتخيلها تعود وحدها هذه الليلة لأنها مصابة بالصداع، ثم يعتذر
 هو لزوجته لأنه يجب أن يقوم بمهمة ما.. هكذا يعود إلى الفندق سريعاً.. هذه هي فرصته
 بعيداً عن (أنقص) الفضولي المشاغب...

برغم كل شيء أشعر أن لهذه الغرفة اللعينة دوراً في هذا كله.. وأشعر أن تلك المرأة
 مخيفة بحق وأنها ستعرف أنني تكلمت..

لهذا.. أرجوكم.. لا تحكوا هذه القصة لشخص آخر.. لربما عرفت.. ولربما عادت لي..
 وعندئذ.....

فضول

(هدى) كانت فضولية.. لا أحد ينكر هذا..

بالنسبة لي كنت أعرف هذا، لكنني كنت أقبله.. ثمة نقاط ضعف ونقاط قوة تحتشد معاً لتصنع ذلك الكائن الغامض المدعو (أنثى)، وبالنسبة لي كنت أقبل هذه العيوب كما أقبل المزايا.. لو أنك ازدريت الأنثى لأن عظامها هشة أو لأنها أقصر من الرجل، أو لأنه لا يوجد شريان خصية في تشريحها، فإن بوسعك أن تزدريها لأنها فضولية أكثر من اللازم.. بينما هذا الاختلاف قد يزيد سحراً في الواقع.. إنها ليست أنت ولا زميلك ولا ابن عمك.. هذا ساحر في حد ذاته..

(هدى) كانت فضولية وكان علي أن أقول هذا ما دمت أحكي هذه القصة، برغم أن هذا يكشف الكثير من أوراق اللعب كما ترى.. ثلاثة أرباع قصص الرعب أبطالها أشخاص فضوليون، وإلا فمن ذلك الأحق الذي يفتح تابوت مصاص الدماء؟.. ومن البلهاء التي تمشي في الغابة المظلمة ليلاً؟.. ومن المعتوه الذي ينزل في البئر العميقة متدلياً بحبل؟.. إنهم الفضوليون.. الفضوليون الذين تعج المقابر بهم..

(هدى) كانت فضولية.. وكان عليها أن تدفع الثمن..

في العاشرة من صباح كل يوم ترى (هدى) واقفة في الممر الذي يصل بين الغرف.. تقف جوار تلك العربة التي عليها كل ما تحتاج له للتنظيف.. عدة أنواع من المكانس.. منظفات.. قطع قماش.. الخ. إنها حاصلة على شهادة جامعية، لكنها تنتمي لذلك الجيل الذي كفت فيه الدولة عن تعيين الخريجين.. لقد بدأ ذلك العصر السعيد بها.. هكذا قضت عامين أو ثلاثة في البيت ثم وجدت أنه لا بد من تجربة حظها.. لم تكن تنوي أن تقف في أحد المحلات أو تعمل سكرتيرة لدى مدير شركة خاصة وغد، وكانت تفتقر إلى الوسطة.. هكذا جاء الوقت الذي صارت فيه عاملة في فندقنا..

لكن هدى ليست عاملة بالمعنى الحرفي للكلمة.. لا تنس مستوى الفندق الراقى، ولا تنس كبرياءها وتعاملها (شديد الألاطة) مع النزلاء ومعنا.. في رسالة صامتة تقول طيلة الوقت (أنا مش خدامة ابوكم)... لهذا لا يجرؤ أحد على اعتبارها عاملة.. تطلق على

نفسها Chamber maid كما أن ملامح وجهها شديدة الكبرياء وبدانتها تعطيها طابعاً مهيباً، كأنها ناظرة مدرسة حازمة لا يمكن المزاح معها أو الاستخفاف بها.. هذا النوع من الكبرياء والتعالي الزائدين مميز دوماً للأشخاص الذين يشعرون بأن مهنتهم أقل من مؤهلاتهم.. التبسط المرح لا يأتي إلا من شخص راض عن نفسه وعن موقعه في الحياة..

برغم هذا هي فضولية جداً.. هي لا تسمع اثنين يتكلمان إلا وتحاول أن تكون ثالثهما.. لا ترى كومة أوراق على منضدة إلا وتفحصتها.. لا تجد باباً مغلقاً إلا وفتحته.. في اعتقادي أنها اختارت أفضل مهنة ممكنة لفتاة فضولية، لأن الغرف في الصباح تكون صناديق مليئة بحلوى الأسرار تنتظر من يفتحها..

إن (هدى) ثرثرة كذلك، لذا تأتي لي حيث وقفت على الكاونتر وتحكي لي.. تحكي لي عن العجوز التي تحتفظ بدواوين شعر (نزار قباني) كلها.. عن الأنسة غير المتزوجة التي تضع في غرفتها حبوب منع حمل.. الكثير منها.. عن الأمريكي الذي اشترى غدة عبوات من معسل (آخر مزاج)..

تحكي هذا كله وتضحك.. وتضرب كفاً بكف مندهشة من غرابة وسخف الناس.. فأقول لها:

«من حق كل إنسان أن يكون غريباً سخيلاً إذا اختلى بنفسه.. وإلا.. فمتى نتخلى عن وقارنا ونجن؟»

إن هذا غير عادل.. الأمر يشبه أن تتلصص على شخص في الحمام ثم تبدي اشمئزازك من الرائحة ومن المشهد المشين.. من طلب منك أن تقتحم عالمه وخصوصياته؟.. ومتى يدخل الإنسان الحمام إذن؟

لكن (هدى) لا تتراجع عن عادة الفضول وعادة الكبرياء.. فقط هي تدور كالنحلة المكتنزة في أرجاء الفندق، ثم تعود دوماً إلى بيتها أمام الكاونتر تلتقط أنفاسها وتحكي لي شيئاً جديداً..

«المرأة في الغرفة ٣٠٤.. إنها تدخن الغليون!.. تصور هذا؟.. مجموعة كاملة من الغلايين في الدرج..»

«الرجل الشاحب في الغرفة ١٧١.. الذي جاء أمس مع زوجته.. لديه مجموعة غريبة من المقالات التي تهاجم الحكومة... أعتقد أنه ينتمي لتنظيم ما»

«تلك المرأة في الغرفة ٢٠٣.. أعتقد أنها تخون زوجها.. ما الدليل؟.. عيناها خائنتان.. هذه أمور تعرفها النساء ولا يفهمها الرجال لأنهم حمقى»

ثم تضرب كفًا بكف وتبتعد....

هل كانت (هدى) تميل لي؟.. لا أعتقد لو كنت تتكلم عن الميل الذي هو اسم تدليل للحب.. كانت تميل لي كما تميل أنت إلى بواب البناية العجوز.. شخص تتكلم معه ويشعرك بقدر من الدفء البشري.. لكنك لن تتزوج البواب العجوز ولن تكتب عنه قصائد الشعر.. هذا يجيب عن سؤالك..

منذ يومين جاء إلى الفندق سائح بريطاني.. بريطاني جدًا لو أردت الدقة... صموت مهذب سمج قليلًا.. اختار غرفة أعتقد أنك صرت تعرفها إلى حد ما.. الغرفة ٢٠٧..

لا أريد أن أكون طفلاً.. هناك كثيرون يختارون هذه الغرفة ولا يحدث لهم شيء، أو.. إذا أردت الدقة.. لا نعرف أنه حدث لهم شيء.. لكنني ما زلت أنقبض وأتوتر عندما أرى هذا الرقم مكتوبًا في مكان ما..

هكذا أقام الرجل في تلك الغرفة، وكان يومه منتظمًا.. يخرج في السادسة صباحًا إلى البحر.. يعود في موعد الغداء.. يختفي في غرفته حتى الساعة مساء ثم يخرج من جديد ليعود في الواحدة صباحًا..

يبدو أنه لا يعرف من اللغة الإنجليزية سوى كلمتين هما :

«مورننج.. إيفنينج»

هكذا لم نعرف عنه الكثير، وهو لم يعرف عنا الكثير.. فقط يمكن أن تراه في المطعم يلتهم طعامه شارد الذهن وجواره كتاب عن علم المصريات يلقي من حين لآخر نظرة إليه..

فقط كان واقفًا ذات مرة عند الكاونتر عندما دنا منه شاب مصري متحمس وتبادل معه حديثًا شغوفًا.. كان الفتى منبهراً يرتجف انبهاراً بينما صديقنا البريطاني سمج كأفراس النهر يرد بتحفظ.. ثم أخرج قلمًا ووقع للفتى المصري على كتاب قدمه له..

لما انصرف وجدتها فرصة لأعرف عنه شيئًا، فسألت الفتى المصري:

«من هذا؟.. لا أعتقد أنه ملكة بريطانيا فهي لا تبدو كهذا..»

قال الفتى وهو يتأمل الكتاب بانبهار:

«(آرثر ماكجريفن).. إنه كاتب بريطاني مهم.. يجب أن تفخروا بوجوده في الفندق..»

قلت في لا مبالاة:

«يقال إن هذا الفندق استضاف (مونتجمري) يوماً ما عندما جاء يستعيد
ذكريات العلمين.. لكن ما الفارق؟.. لقد جاء (ماكجريفن) هذا.. بقي.. (ماكجريفن) سيدفع
الحساب ويذهب..»

ثم سألت الفتى:

«كيف عرفتته؟.. لا تقل لي إنها الصورة على غلاف كتبه»

«أنا صحفي وجئت خصيصاً إلى مرسى مطروح لأقابله.. المفترض أن هذه
الزيارة سرية»

«لهذا بدا عليه أنه لا يرحب بك على الإطلاق..»

إذن ما زال هذا الفندق العجوز قادراً على جذب كاتب من وزن هذا... هذا... نسيت
الاسم للأسف.. المهم إن هذا الفندق أكثر أهمية مما ظننت..

أخبرت (هدى) بذلك عندما جاءت إلى الكاونتر لتترثر قليلاً.. وكان هذا خطأ جسيماً
كما ستعرف...

(هدى) كانت فضولية..

لهذا يمكنك أن تتصور ما حدث..

العاشرة صباحاً والعربة ذات العجلات تزحف عبر الممر في الطابق الثاني.. الغرفة
٢١١.. ٢٠٩.. تدخل وتقوم بالتنظيف وترتب الفراش، وتلقي نظرة فضولية على كل شيء
ثم تغادر الغرفة..

الغرفة ٢٠٧..

تتذكر ما قلته لها.. هناك كاتب بريطاني شهير يقيم هنا.. لم تكن من هواة القراءة، وكان
الأدب البريطاني آخر شيء يشغل بالها، لكنها على كل حال قررت أن هذه الغرفة تختلف..
اليوم تراها بعين جديدة..

هكذا دخلت لترى المشهد المعتاد.. الفراش غير المرتب والمنامة ملقاة عليه.. منبه جوار الفراش.. خزانة الثياب مفتوحة... فقط هناك كومود مغلق بالمفتاح حرصاً على ما فيه من أشياء مهمة.. لا.. ليست مالاً وإلا كان الرجل أحرق.. أشياء كهذه تحفظ لدى إدارة الفندق..

الشرفة مفتوحة ومنها ترى البحر وقد بدأ يزدحم بالسباحين.. كانت قد ملت مهنتها لدرجة أنها بالفعل صارت تكره البحر وتشعر بأنه سخييف ممل متصنع إلى حد ما.. يتصور انه ما دام يقذف الأمواج فهو طريف..

أقلت نظرة على خزانة الثياب فلم تجد ما يهم.. أقلت نظرة على الحمام فلم تر إلا آلة حلاقة ملوثة بالصابون موضوعة في الحوض.. بعض أقراص الدواء في شريط.. لا شيء..

على المنضدة الموجودة جوار الفراش كانت مجموعة من الأوراق.. ومفتاح! لم تجسر على الأمل.. مدت يدها بالمفتاح وعبثت في الدرج.. سمعت صوت (كليك) المفتاح بينما الآلة تستجيب.. لقد انفتح!

كان الدرج خالياً إلا من مجموعة أوراق.. هناك صورة ممزقة إلى أشلاء عليها وجه امرأة على ما بدا من قصاصات متناثرة... امرأة شقراء غربية.. مفكرة... مدت يدها تتصفحها..

هناك ملاحظات بالإنجليزية بخط لا يقرأ.. هناك أشكال غير مفهومة.. دنت أكثر وتفحصت الأوراق فوجدت لفظة إنجليزية لم تفهمها لكنها واضحة الكتابة:

Tetragrammaton

ما معناها؟...

كان الهاتف على الكومود، وهي تعرف أنني في الاستقبال.. تصادف أن هذه نوبتجيتي.. رفعت السماعة وقالت لي:

«ما معنى تت... تترا.. تتراجراما.....تتراجراماتون؟»

قلت لها في برود:

«هل قال لك أحد إن شكسبير يعمل موظفاً للاستقبال هنا؟.. طبعاً لا أعرف.. لكنني أتمنى لو عرفت أين أنت وما كل هذا الحماس؟»

«أنا في الغرفة ٢٠٧ .. نعم .. لقد فتحت الدرج فوجدت صورة امرأة شقراء ممزقة .. لا .. الصورة هي الممزقة وليست المرأة .. هناك مفكرة فيها هذه الكلمة ويبدو أنها مهمة ..»
قلت لها لائماً:

«فضولك معروف لكنه تجاوز الحد .. يوشك على أن يتخذ طابعاً جنائياً .. أرجو أن تعيدي كل شيء لمكانه وتأتي حالاً ..»

قالت بلا اقتناع:

«معك حق ..»

ووضعت السماعة ..

كيف كان لي أن أعرف أن الدرج لم ينغلق؟ .. يبدو أنها أغلقته بعصبية فانكسر المفتاح في القفل وبقي مفتوحاً للأبد!

في الواحدة بعد الظهر اتصل بي الخواجة (مايكل) المدير طالباً أن أصعد إلى مكتبه ..

توجست خيفة لأن العجوز لا يطلبنا إلا لحدث جلل .. إذن هو الرفت أو الخصم حسب مزاجه .. اتجهت إلى مكتبه لأقابل رأسه العملاق المظل من فوق المكتب .. الجسد الضئيل الذي لا يظهر البتة والعينان الزرقاوان الباردتان ..

نظر لي بتلك النظرة التي أخافها وسألني:

«مزعلين (هدى) ليه يا (جمال)؟»

هنا لاحظت للمرة الأولى أن (هدى) تقف على بعد خطوات، وكانت دامعة العينين محمرة الأنف .. ماذا حدث؟

هنا صاحت (هدى) في هستيريا:

«لم يضايقني أحد يا خواجة .. أقسم لك»

نظر لي وقال:

«فجأة جاءت مكتبي تبكي وتولول .. إنها مصرة على الاستقالة الآن .. تطلب تسوية حسابها وإلا فهي لا تريده .. أنا لم أر هذا المشهد من قبل إلا ثلاث مرات، وفي كل مرة كان

العاملون بالفندق أولاد الحرام هم السبب.. انتم تتحرشون بالفتاة المسكينة وتقرصونها في مؤخرتها.. لا تكذب!»

مؤخرتها؟.. مع كل هذه البدانة التي تتمتع بها (هدى) لا يستطيع أن يقرصها إلا بلدوزر.. ومع صرامة وجهها المتعالي يستحيل أن يتحرش بها إلا (راسبوتين) نفسه.. قبل أن أجيب عادت هي تدافع عني بحماس..

«لا ذنب له.. لا ذنب لأحد.. فقط هناك أسباب قوية يا خواجه.. أرجوك أنا لا أستطيع شرحها.. فقط أرجو أن ننهي كل شيء الآن..» عاد ينظر لي في عدم فهم.. ومن جديد قال:

«لماذا وعدتها بالزواج وتخلت عنها أيها الخنزير؟.. أمثالك يجب أن يجلدوا بالسياط» من جديد كدت أفتح فمي، لولا أن هبت (هدى) تؤكد أنه لم يتحرش بها أحد ولم يقرصها أحد ولم يعد لها أحد بالزواج. فقط هي تريد أن ترحل.. نظر إلى عم (مينا) المحاسب العجوز الذي وقف على بعد خطوات يراقب المشهد، وأمره بأن يسوي حساب هذه البائسة.. ثم....

«تفضل...»

قالها لي في اشمئزاز مشيراً بكفه نحو الباب.. ثم أردف:

«حسابك بعدين!»

هكذا خرجنا من المكتب نضرب كفاً بكف.. من ضايقتك يا فتاة؟.. كنت في خير حال صباح اليوم... ماذا جرى؟.. يمكننا أن نسوي الأمور..

لكنها كانت تقاطعنا صائحة في هستيريا:

«لا أريد أي شيء سوى الرحيل..»

الغرفة ٢٠٧!.. عندما تسألني عن تفسير أي سلوك غير منطقي فإنني أذكرك بتلك الغرفة اللعينة التي لا بد منها في كل قصة غامضة.. نحس الغرفة قد حل بالفتاة بلا شك.. طبعاً سوف أريحك من تفاصيل ما دار مع الفتاة ما دام لن يخرج عن محاولات إقناع فاشلة، وإصرار لا يتزعزع على الرحيل وعدم التفسير معاً..

في النهاية أخذت (هدى) حقائبها وسرعان ما كانت تخرج من الفندق ومن (مرسى مطروح) ومن حياتنا.. بلا رجعة.....

كنت حائراً.. عشت هذا الموقف ألف مرة، لكنني لم أره من قبل بهذه السرعة الدرامية وهذا الغموض، وقد قال لي عم مينا ونحن واقفان على الباب الزجاجي نراقب الطريق:

«بيني وبينك.. أنا أيضاً أعتقد أنكم تحرشتم بها.. أنتم مجموعة من أولاد الحرام فعلاً، ولا يمكن أن تحتفظ فتاة بكرامتها بينكم..»

ثم نظر لي في اشمئزاز وبصق على الأرض وقال:

«تقرص فتاة في مؤخرتها؟.. هل هذا تصرف يقدم عليه رجل عاقل ناضج؟»

وانصرف.. لقد صدق نظرية المدير حتى بدأت أشك في نفسي.. يبدو أنني سبب رحيلها فعلاً وأنتي أقرص فعلاً... كأنه ليس هناك أي موظفين في هذا الفندق غيري.. أو ربما الجميع محترمون مهذبون لا يقرصون وأنا الوغد الوحيد..

لكنني كنت أعرف..

الغرفة ٢٠٧..

هذا آخر مكان كانت فيه الفتاة... آخر ما رآته.. السبب الذي جعلها تقرر الرحيل..

هل عاد ذلك الكاتب البريطاني من الشاطيء؟.. بالتأكيد عاد وتناول الغداء.. فهل شعر بأن هناك من عبث في غرفته؟.. هل اتهمها بشيء؟.. هل رغبت في الرحيل قبل أن يتهمها؟ الاحتمال الأخير أقرب للصواب، لكنني يجب أن أطلق طلبة اختبار....

(هدى) كانت فضولية..

كذلك كنت أنا..

لا أعني أنني مولع بتفتيش حاجيات النزلاء، لكنني أرغب بالتأكيد في معرفة سبب رحيلها المفاجئ..

هكذا انتظرت حتى ظهر ذلك البريطاني الذي نسيت اسمه.. (آرثر شيء ما).. لا بد في كل مرة أن أفتح الدفتر لأتذكر.. كان متجهاً نحو الكاونتر مرتدياً قميصاً صيفياً واسعاً وسروالاً مريحاً وصندلاً.. ناولني المفتاح فألقيت الطعم الأول:

«هل الغرفة جيدة؟.. هل هي مأمونة؟»

نظر لي في حيرة فقلت على الفور:

«كل شيء في موضعه؟...»

هز رأسه وهو يفكر في معنى كلامي.. ثم قال وقد تذكر:

«المفتاح مكسور في درج الكومود.. أرجو أن ترسل من يصلحه..»

هكذا فهمت.. أعرف من فعل هذا وأعرف أنه افتضح على الفور.. أول من يتجه له الشك هو خدم الغرف.. على كل حال هزرت رأسي وكتبت مذكرة بذلك مع وعد بأن أرسل له (الكوالينجي) أو النجار فوراً..

مددت يدي إلى ورقة على الكاونتر وضعتها أمامه وسألته في براءة:

«هذه اللفظة... Tetragrammaton قابلتني أثناء القراءة ولم أدر معناها.. هل يمكن أن تساعدني؟»

نظر لي في برود.. لو كنت قد فاجأته فهو ممثل بارع فعلاً.. تأملها بعض الوقت، ثم قال:

«إنه شيء يخص الديانة اليهودية.. لا تشغل بالك بهذه التفاصيل.. أين قرأتها؟»
«لم أعد أذكر..»

«هذه تفاصيل دينية لا تهم إلا الحاخامات.. دعك من هذا.. المفتاح»
وناولني المفتاح وابتعد.....

ظللت أمارس عملي غارقاً في التفكير.. هنا سمعت من يصفر ماراً بي.. كان هذا هو الصحفي الشاب المصري الذي يتردد على فندقنا أكثر من اللازم..
توقف عند الكاونتر وسألني عن أخبار الكاتب البريطاني..

«مما يثير جنوني أن آتي وأرحل من دون أن أجري حواراً معه.. كانت فرصة ذهبية.. لكنه غير ودود على الإطلاق.. سوف أحاول غداً أن أحاصره على الشاطئ..»

هنا سألته فجأة:

«أعرف أنه يكتب.. لكن يكتب أي شيء؟.. شيكات؟»

«إنه من المهتمين بالميثولوجيا.. الديانات القديمة.. الأساطير.. لكنه اكتسب بريقاً إعلامياً لا بأس به في الخارج»

«ما هو التتراجراماتون Tetragrammaton؟»

قال ضاحكاً وهو يشعل لفافة تبغ:

«الاسم السري للرب في الديانة اليهودية.. هذا هو مجال عمله فعلاً... إنه اسم رباعي يؤمن اليهود أن من يعرفه يستطيع السيطرة على شياطين الكون وعلى العالم السفلي.. لهذا يستعملون أسماء (إلوهيم) و(جيهوفاه) كي لا ينطقوا الاسم الأصلي...»

«هل تعني أنه سر محرم؟»

«إلى حد الموت أحياناً... نعم.. لكن الأمر كله يتعلق بالسحر الأسود.. كلام فارغ من هذا القبيل»

رحت أفكر في معنى هذا..

وفي هذه اللحظة شعرت بحركة غير طبيعية.. كانت فتاتان من المضيفات تجريان في اللوبي وهما تبكيان.. ظهرت واحدة أخرى تغطي فمها بيدها لتكتم صرخة، وعيناها متسعتان رعباً، بينما النزلاء ينهضون مذعورين غير فاهمين ما يحدث.. واحدة رابعة ارتمت على صدر الثالثة وانفجرت في البكاء..

واحدة سقطت مغشياً عليها فراحوا يرشون وجهها بالماء..

مشهد مسرحي بديع، وله طابع إغريقي محبب للنفس.. فتيات يأتين من كل أرجاء المسرح باكيات ثم يرتمين على الأرض ويغطين وجوههن، بينما شعورهن تنتثر هنا وهناك.. لن أندش لو ظهر أوديب الآن من مكان ما... لكن ما معنى هذا المشهد؟

هنا سمعت لفظة (هدى) تتردد.. مع عبارة (يا حبيبتي) مراراً.. بقدمين عاجزتين عن حملي دنوت من (رعدة) المضيفة السكندرية وسألتها عما حدث فقالت باكية:

«المستشفى اتصل بنا.. حادث وقع لـ (هدى) لدى رحيلها.. انقلبت السيارة بها.. نقلوها للمستشفى لكنها لفظت أنفاسها الأخيرة منذ ساعة ولم يعرفوا منها إلا أنها تعمل هنا..»

«تعنين أنها.....؟»

«قلت لك إنها ماتت!.. يا لك من غبي!.. المسكينة كانت تتعجل الرحيل لا عن الفندق بل عن الحياة كلها.. لعلها أرادت أن ترى أهلها قبل.....»

ثم انفجرت من جديد في البكاء:

«يا حبيبتي يا هدى!»

كان عقلي يعج بالأسئلة..

ما الذي جعل (هدى) تقرر الفرار فجأة؟.. هل الحادث صدفة فعلاً؟... التتراجراماتون لغز محرم إلى حد الموت.. هكذا قال الصحفي، والصحفيون يعرفون ما يقولون أو هذا ما يفترضه الناس.. الأوراق التي وجدتني في الدرج.. هل كانت تحوي السر؟.. هل عرفتته؟.. أم أن هناك من افترض أنها عرفتته؟.. هل كان سؤالي للبريطاني زلة غبية؟.. هل اعتبرني أعرف السر الآن؟.. فقط أنا أعرف يقيناً أن الأوراق معه ولم يتركها في الغرفة..

(هدى) تلقت إنذاراً خفياً بأنها ستموت.. لهذا كانت شبه مجنونة وهي تطلب الرحيل وتتوسل من أجله..

لقد رأت الأوراق وعرفت أن نهايتها قريبة.. لكن ما الذي رآته فعلاً؟

كانت هناك في الدرج صورة شقراء ممزقة.. الصورة وليست الشقراء.. فما دخلها في القصة؟

قبل أن أقرر ما أفعله كنت آخذ المفتاح وأركب المصعد إلى الطابق الثاني..

أركض في الممر نحو الغرفة التي صرت أمقت منظرها على بعد خمسين متراً.. أنا أعرف أن ذلك البريطاني الذي نسيت اسمه لن يعود قبل ساعتين..

نظرت حولي ثم أولجت المفتاح في قفل الباب..

دلفت إلى الغرفة المظلمة الباردة.. لقد كانت الشرفة مفتوحة..

أضأت الأباحورة جوار الفراش ونظرت إلى الكومود.. بالفعل كان الدرج مفتوحاً لأن اللسان الذي يغلقه كان محشوراً.. إنه خال.. طبعاً.. لو كانت الأوراق مهمة فإن هذا البريطاني سوف يأخذها معه..

مددت يدي أعبت هنا وهناك في الضوء الخافت..

تتراجراماتون.. الاسم السري الرباعي الذي يجعلك تسيطر على الكون والذي يساوي حياة فتاة شابة..

هنا وجدت قصاصات صورة ممزقة.. الصورة التي وصفتها لي هدى على الهاتف..
جمعت القطع.. كأنني أجمع لغزاً للأطفال.. هذا عسير وشبه مستحيل.. لكنني على الأقل
وجدت العينين والفم وجزءاً من الشعر..
ليست هذه صورة فتاة شقراء.. إنها فتاة سمراء.. فتاة سمراء بدينة لها نظرة حازمة
متعالية..

هذه الصورة التي استقرت في الدرج لم تكن سوى صورة (هدى)!

زوجان

(سارة) الخبيثة مضيئة الفندق لا تترك شيئاً من دون تعليق..

قالت لي وهي تستند على الكاونتر وتراقب ذلك الرجل القادم من الباب:

«هذا الرجل يدمن الحشيش.. أعتقد أن خدم الغرف سيشمون رائحة غريبة وهم ينظفون الغرفة صباحاً..»

أنظر لها حيث تقف هناك، متكورة على نفسها كقطعة صغيرة لعوب، وأقول في غيظ مصطنع:

«من الغبي الذي قال لك هذا؟»

«عيناه قالتا.. لو كنت لا تعرف عيني مدمن الحشيش فأنت أحمق..»

أهز رأسي لأسفّه ما تقول، وأبتسم للنزير الجديد الذي جاء يسأل عن غرفة.. لا يفوتني أن ألاحظ ذلك الثقل في كلماته والنظرة الناعسة الفارقة في الخمول في عينيه.. لو لم يكن هذا مدمناً فأنا لا افقه شيئاً.. هذه الفتاة تلاحظ جيداً فعلاً..

ثم ينصرف الرجل، فيظهر على الباب ذلك الشاب النحيل ذو العوينات، فتقول (سارة) دون أن تغير وضعها:

«وهذا؟.. الشاب الخجول الشاعر الذي يهيم بي حباً لكنه لا يجسر على التصريح.. سوف يكلمك ثم يدير رأسه بحركة شبه عفوية ليختلس نظرة لي، لكنه سيفاجأ بأنني أرمقه كالصقر، من ثم يلمس إطار عويناته متظاهراً بأنها مصادفة، ويعود للكلام معك..»

«أعتقد أنه سينظر لك خلصة مندهشاً من مدى تدهور ذوق هذا الفندق في اختيار العاملين به..»

يتقلص وجهها في ضحكة استسخاف واستخفاف معاً وتقول:

«هي هي هي.. ظريف..»

يدنو الشاب منا.. وهو نزير بالفندق منذ يومين على فكرة.. ويسألني عن أشياء عدة، ثم يتظاهر بأنه يدور برأسه في حركة طبيعية.. يلقي نظرة على (سارة)، لكنها تقابل عينيه

بنظرة ثابتة مقتحمة.. لقد كانت مستعدة.. هكذا يلمس إطار نظارته في حرج ويلتفت لي بسرعة ويعود للكلام..

لما انصرف استدرت إلى سارة في دهشة وسألتها:

«كيف خمنت هذا كله؟»

قالت دون أن تغير وقففتها:

«لأنه قال لي أمس إنه يحبني! كتب قصيدة من أجلي!..»

«يا لك من شيطانة!... قلت إنه لا يجرؤ على التصريح، وإنه نموذج العاشق الصامت...»

«كنت أكذب.. أردت أن اثير غيظك لا أكثر.. على فكرة هو يلمس إطار عويناته دومًا كلما

تعلق الأمر بالجنس الآخر!»

وفي اللحظة التالية تنطلق كالقط لتمرار عملها قبل أن يراها مشرف العاملين أو يمر

الخواجة ليخرب بيتها..

قلت لكم إنها شيطانة حقيقية..

تقول لي (سارة) وهي تنظر إلى مدخل الفندق:

«العريسان الجديدان!»

فأنظر إلى المدخل لأرى اثنين من الحمالين منهمكين في وضع مجموعة حقائب على

عربة يد، وهناك ذلك الشاب فارع الطول ضخم الجثة.. ربما يشبه ابن عمي نوعًا لكن مع

فارق صحي هائل.. جواره تلك السيدة التي تضع على رأسها قبعة من الخوص، وتلبس

نظارة سوداء وقفازين أبيضين طويلين لا مكان لهما في هذا الحر.. هناك نوع من الحيوية

والحماس والتفاؤل في منظرهما يوحي لك بما قالت (سارة)..

من جديد همست الشيطانة في خبث:

«إنه منبهر بها تمامًا.. واقع بالكامل تحت سيطرتها..»

قلت في غيظ:

«هل عرفت هذا من مشيتهما؟»

«لا.. لاحظ أن أغلب الحقائق تحمل طابعاً نسائياً.. لاحظ الحقيبة المعدنية التي يحملها، والتي لا يمكن أن تحمل سوى أدوات ماكياجها.. المفترض أن تحملها هي.. هي فتاة مبهرجة أنانية مهتمة بنفسها، وهو حيوان واقع في مصيدة الافتتان بها..»

هنا أشرت لها كي تصمت لأن ذلك العملاق المنبهر قد وصل إلى الكاونتر ووقف يلهث.. كان وسيماً له ملامح قوية لكنه من النوع الذي يحمل طباع الثيران.. عيان متسعتان فيهما عيب وجنون وغضب.. هذا الرجل يتشاجر مائة مرة في الساعة ولا بد أن يضرب بقبضته بي نصف هذه المشاجرات..

الفتاة كانت أقرب إلى قط شرس مزعج.. كتلة من المتاعب تمشي على قدمين.. على وجهها تعبير دائم من القرف و(لم أتوقع أن يكون الأمر بهذا السوء).. أي أمر؟ كل شيء... عندما نزعّت النظارة السوداء كانت عيناها الخضراوان تعطيانها طابع النمر فعلاً.. اعتقد أنها كانت جميلة وانها تملك ما يبرر هذا الاستعباد الجنسي للفتى، وإن لاحظت أنها ساحبة بشكل لا يمكن وصفه.. إما أنها من أسرة ذات لون بشرة غريب وراثياً، وإما إنها أعاني ألّعن حالة فقر دم رأيتها في حياتي..

ابتسمتُ له ابتسامة مهنية وقلت:

«عريساً جديداً.. شهر عسل.. هه؟»

ابتسم ابتسامة بدت كأخدود يرتسم على وجهه القاسي، وقال:

«نعم.. نعم.. لقد حجزنا منذ شهر هاتفيًا.. لقد تزوجنا منذ ثلاثة أي...»

هنا قاطعته الفتاة في عصبية وبلهجة امرأة:

«(محمد).. فلتنه الإجراءات. ليس من شأنه أن نحكي له قصة حياتنا!»

قال في حرج:

«كان يسأل فقط.. ليس هذا...»

«ليس عمله أن يسأل.. هلم أنته بسرعة..»

احمرت أذناه وراح يخرج هويته.. لا أتمتع بفراصة خاصة لكن توقعاتي كانت صادقة لي حد لا يوصف.. حياة هذا الفتى ستكون سلسلة من الاستعباد، لكنه سينال من حين خرقلة أو ابتسامة رضا فيكتشف أن الحياة رائعة، وأن هذا أفضل العوالم الممكنة.. إن

هذه البنية العملاقة تحتاج إلى الجنس بوفرة. الكثير منه. لهذا يمكنه أن يغفر الكثير لـ (موضوعه الجنسي) على رأي الخواجة فرويد..

إلى أن يتسرب الملل لحياتهما طبعاً!

بدأت أملاً البيانات من بطاقته التي لم تصبر عائلية بعد..

(محمد السماحي) .. مدير شركة دعاية .. ٢٩ سنة .. قاهري ... بطاقة السيدة تقول إنها (مها الغندوري) .. من دمنهور .. ٢٤ سنة ... هناك قسيمة زواج ألقيت عليها نظرة ثم أعدتها له ...

لم أجد غرفة خالية سوى .. سوى الغرفة ٢٠٧ .. المشكلة في هذه الغرفة أنها تروق لمن يراها أول مرة دائماً .. لم يدخلها أحد وطلب مني تغييرها .. إن منظور البحر من شرفتها مهيب حقاً .. لهذا عرفت أنهما سيحبان هذه الغرفة .. هذه اللحظة فقط...

يجب أن اعترف أنني لم أحبهما قط .. مسحة التعالي هذه مع السماجة وثقل الظل .. إنهما ينتميان لطراز الأرواح الغبية التي تعرف أنك لن تفهمها ولن تفهمك أبداً .. كل هذا جعلني أشعر بلذة خفية لأنهما قد يجربان شيئاً ما في الغرفة ٢٠٧ .. هذا ما يستحقان ..

هكذا أنصرفا نحو المصعد .. يحمل صندوق الماكياج كآفه حلاق يحمل عدة الصنعة ..

التفتت إلى (سارة) التي لم ترفع عينها عنهما قط، وابتسمت لها في خبث فبادلتني الابتسامة ..

قلت لها وأنا أغلق الدفتر:

«كالعادة .. فراسة لا تفشل أبداً .. لا بد أن لك جداً من قبيلة (بني سليم)»

«قبيلة ماذا؟»

«تلك القبيلة العربية القديمة التي اشتهرت بالقيافة والفراسة .. لا عليك .. ما رأيك في تلك المرأة القادمة إلى هنا؟»

التفتت (سارة) لتحقيق انتصاراً آخر بعد ما فتحت الدماء شهيتها للمزيد .. المرأة القادمة كان تميز طرازها سهلاً .. شعر أشيب .. أرستقراطية .. وقور .. عصبية .. إنها من ذلك الطراز من البشر الذي

ينظر إلى الأرض ويصرخ!!

بالفعل سمعنا صراخها وهي تشير إلى الأرض وتهتف بلغة عربية ملوثة بالفرنسية:
«من أين جاء هذا الدم؟.. مون ديو.. هل هناك من جرح هنا؟!!»

قطرات الدم الحمراء التي تتناثر على سيراميك المدخل والبساط الفاخر في اللوبي.. كم
إن منظرها مرجف يدعو للتوجس...!

يمكنك أن ترى أنها تتجه في خيط شبه متصل نحو المصعد..

ناديت عامل النظافة وهو وقتها.. شاب من الزقازيق يدعى (شعبان).. طلبت منه أن
يمسح هذه القطرات بسرعة.. ليس من شأن فندق محترم أن تتناثر قطرات دم في مدخله..
كانت القطرات متباعدة توحى بأن صاحبها لم يكن ينزف بغزارة، أو إنه كان يمشي
بسرعة.. على كل حال لا أذكر أن هناك من كان ينزف، ومن الصعب أن تعرفه لأن العشرات
دخلوا وخرجوا من هذا المصعد.. ما لم يطلب أحد عونًا أو يطلب الإسعاف فلن تعرفه أبدًا..

قالت (سارة):

«على الأرجح هناك من جرح يده وهرع إلى غرفته ليعالجها، وهذا يدل على إن
إصابة طفيفة»

نعم.. أوافقك.. لكن لكم توترت!.. غريب شأن هذا السائل الدم، ولكم من معان يبعثها
أوهو داخل الغروق وخارجها.. إنه يرمز للحياة والصحة ما دمت لا تراه، فإذا رأيته فنحن
نتحدث عن الموت والجراح والمستشفيات والأطراف المبتورة والصدمة و... و..

طلبت من (شعبان) أن ينظف المصعد لأنه على الأرجح سيجد تجمعًا من القطرات فيه،
عدت أو اصل عملي..

في الثالثة عصرًا ساد الهدوء المكان.. لقد رحل من رحل وسكن غرفته من سكن.. الفترة
نهائية التي أنعم فيها بالسلام ما بين الـ Check in والـ Check out ...

جلست أحل الكلمات المتقاطعة في الجريدة.. هنا دق جرس الهاتف..

كانت هذه هي الغرفة ٢٠٧.. العريسان ثقيلًا الظل..

جاء صوت الرجل يسألني من دون تحيات ولا استئذان:

«هل يوجد ثلج هنا؟»

سؤال غريب.. ما لم يكونا راغبين في شرب الشمبانيا على طريقة أفلام يوسف بك وهبي.. القفاز الأبيض والتفاح.. قلت له:

«هناك ثلاجة في الغرفة.. ألا تعمل؟»

قال في ضيق:

«تعمل.. لكننا بحاجة إلى كمية أكبر.. الطقس حار فعلاً..»

«سيدي.. هناك جهاز تكييف في الحجرة.. لم نسمع قط عن نزيل يطلب ثلجاً من أجل.....»

قاطعني في حدة:

«أنت لن تجري معي تحقيقاً... هل هناك من يجلب لنا ثلجاً؟.. اشتريه من أي مكان وأضف الثمن إلى الفاتورة»

كنت أعرف أنه قصير الفتيل، ولن يلبث أن ينزل ليفتك بي لذا قررت أن أطيعه..

وضعت السماعة شاعراً بالحيرة والغيب.. ليست هذه من مهام عملي، لكنني برغم هذا مكلف بأن أريح النزلاء.. هكذا ناديت الفتى (شعبان) وقلت له بلهجة رسمية سريعة إنني راغب في أن يبتاع بعض الثلج ويحمله إلى الحجرة ٢٠٧ حيث ينتظره عريسان جديدان في لهفة..

«لكننا لم نسمع قط عن....»

قلت في عصبية:

«اسمع.. كل هذه الحجج أعرفها وسمعتها ولا رد لي عليها.. فلتفعل ما أطلبه ولتأخذ بقشيشاً لا بأس به.. لا تستفزه لأنه من النوع فاقد التحكم نهائياً في أعصابه»

هز رأسه في عدم اقتناع وغادر الفندق...

بعد عشر دقائق عاد وهو يحمل شيئاً ضخماً مبتلاً على كتفه لفه في خيش وقماش.. طلبت منه طبعاً أن يستخدم السلم الخلفي لأن المنظر غريب بما يكفي..

هكذا صعد وغاب بضع دقائق، ثم عاد ليجلس جوارى في الاستقبال.. سألته عما

حدث، فقال:

«لم أدخل الحجرة.. فقط ظهر الرجل وأخذ مني ما حملته ودس بعض العملات في يدي.. كان يبدو ملهوفًا قلقًا..»

ثم مال يسألني في خبث وقد بدت على وجهه مخايل الأوغاد:

«قل لي.. أنت رجل متزوج.. لماذا يحتاج عريسان جديدان إلى ثلج؟»

نظرت له في غباء.. طبعًا لا أعرف.. لا تقدر أسوأ خواطري ولا أكثرها جموحًا أن تجد تفسيرًا.. لكنه كان مصرًا على أن العلاقة قوية وإن كان لا يعرفها، وائني لا أفقه شيئًا في هذه الأمور برغم زواجي..

التفسير الجنسي للتاريخ.. تلك هي طريقة تفكير الناس جميعًا.. كان العريس الجديد لا يصاب بالتهاب في اللوزتين ويحتاج إلى كمادات، أو يشتري سمك ثعبان يخشى أن يفسد بينما الثلاجة لا تتسع له.. أي شيء..

في الخامسة عصرًا اتصل بي نزيل الغرفة رقم ٢٠٥ شاكيًا من أن رائحة الطابق كريهة..

«إنها لا تطاق.. كان هناك جيفة.. لا بد أن هناك قطعة ميتة في مكان ما..»

قلت للفتى (شعبان) أن يصعد ويعرف مصدر تلك الرائحة.. لا بأس من أن يرش بعض فينول..

«ولماذا أنا بالذات؟»

«لأنك هنا أمامي.. هيا»

بعد ربع ساعة اتصل بي نزيل الغرفة رقم ٢٠٩ ليقول إن هناك رائحة تضايق أطفاله.. فوعده بأننا سنحل المشكلة حالاً...

بعد قليل عاد (شعبان) منهكًا فارتمى على مقعد جوارى، ولم يتكلم لفترة.. سألتها عما هنالك، فقال:

«لا شيء.. كانت هناك رائحة كريهة فعلاً لكنني لم أعرف مصدرها، وقد اختفت فجأة بقدرة قادر.. لا توجد قطط ميتة. المشكلة انتهت على كل حال..»

كنت قد جربت هذه المشكلة من قبل، وكان سببها حيوانًا ميتًا استقر في إحدى فتحات التهوية.. لا بد لك أن تكون ذا خيال واسع في هذه المهنة.. لكن على قدر علمي لا تزول هذه الروائح من تلقاء نفسها.. سوف أبلغ فني التكييف غدًا...

هكذا انتهى هذا الموقف...

ما حدث بعد هذا ووجدته غريباً جداً هو إنني لم أر العريسين قط لمدة ثلاثة أيام.. هما دوماً في غرفتهما.. فقط يطلبان المزيد من الثلج.. الأكل يُحمل لهما في الغرفة.. الصينية توضع أمام الباب.. لافتة (لا تزعجني) على الباب طيلة الوقت، مع طرد كل عاملة نظافة تقرر الباب في فترة النهار..

وسألت (سارة) عن رأيها فابتسمت في خبث.. قالت كلاماً كثيراً لثيماً عن الناموسية الكحلية وما إلى ذلك.. هذان عريسان لذا لا يتوقعن أحد أن يغادرا الغرفة للأبد.. لكنني لم استرح لهذا التفسير..

قمت بإرسال فني التكييف مرة والكهربائي مرة إلى الغرفة، لكن مصيرهما كان الطرد في كل مرة.. لا أحد يقدر على دخول تلك الغرفة..

جربت أن أتلصص عليهما من الشرفة المشتركة التي تحتاج إلى الوثب فوق ذلك الحاجز، لكن باب شرفتهما كان مغلقاً..

وقفت في الردهة أفكر.. ربما كان الأمر أبسط مما تصورت وكان هذان عريسين متحمسين لا أكثر، لكن شيئاً كهذا لم يمر بي في مهنتي من قبل.. لا بد من أن يخرجنا متشابكي اليدين ويمشيان على الكورنيش متظاهرين بالسعادة..

كنت مطرق الذهن أدير الاحتمالات في رأسي، عندما رأيت على الأرضية تلك البقع السوداء.. البقع السوداء التي كانت حمراء منذ أيام.. لا أحد يعنى بغسل البساط في الردهة، وهذا يعني أن تلك البقع ظلت هنا منذ يوم مجيء هذين..

من الواضح تماماً أن هذه البقع - قطرات الدم - خرجت من المصعد لتمشي في الردهة.. باهتة لا تلاحظها إلا عين تبحث عنها - لتغيب في الغرفة ٢٠٧..

دائماً الغرفة ٢٠٧...

الشخص الذي كان ينزف دماً كان واحداً من هذين...

ما معنى هذا؟

عريسان صموتان.. قطرات دم نازفة... باب لا يفتح أبداً.. الكثير من الثلج.. الغرفة ٢٠٧.. ورائحة عفنة!!

جالسًا إلى الكاونتر غارقًا في الأفكار السوداء، عدت أطلع بيانات هذين العريسين.
(مها الغندوري) .. من دمنهور .. أنا من دمنهور. الاسم يبدو لي مألوفًا بشكل غريب،
لكن متى وأين؟....

لي صديق من دمنهور يدعى (عبد السلام الغندوري) .. هذا اسم غير شائع فهناك
احتمال لا بأس به أن تكون الفتاة قريبته .. أخرجت مفكرتي الصغيرة أبحث عن رقمه، ثم
طلبتة .. جاء صوته المنزعج يسأل عن المتكلم ..

«أنا (جمال) ... (جمال الصواف) .. لا تقل إنك نسيتني ..»

دوى صوته يسألني عن حالي وكيف أفتقدني .. الخ ... فقاطعتة في نفاذ صبر:
«هناك نزيلة تدعى (مها الغندوري) .. عندنا في الفندق منذ ثلاثة أو أربعة أيام .. هل هي
قريبتك؟»

فكر قليلاً ثم قال:

«لربما .. الأسرة كبيرة .. لو كان الأمر ملحقاً فلسوف أتقصي الأمر .. يمكنك أن تطلبني
بعد ساعة»

«إنه ملح فعلاً .. أرجو أن تولي الموضوع عنايتك .. أ .. سلم لي على (مروة) و(هاني)»

قلتها فقط لأتظاهر بأنني ودود ظريف .. فقال بلهجة عتاب:

«إنهما ليسا (مروة) و(هاني) .. إنهما (عفاف) و(ضحى) ..»

و ما الفارق؟ .. يريد أن اذكر اسم كل طفل لدى كل صديق لي .. المهم أنه عنده شخصاً ما
وهذا الشخص له اسم ..

«ليكن .. ليكن .. تذكر يا (عبد السلام) .. اسمها (مها الغندوري) .. (مها) .. هه ..؟»

كنت أتكلم وأنا منحن على الكاونتر .. عندما وضعت السماعة ورفعت رأسي وجدت
أنني أحدى في العينين الحادثتين المذعورتين لـ (محمد السماحي) ! ... العريس الغامض !

هل سمع المكالمة؟ .. هل عرف إنني أسأل عن زوجته؟

لا أريد أن أكون موجوداً لو اتضح أن الإجابة نعم ...

لكنه لم يبدأ بضربي .. فقط قال وتفاحة آدم تتواشب في عنقه:

«صيدلية.. هل هناك واحدة قريبة؟»

«هناك الكثير.. لكن.. هل هناك مشكلة ما؟»

فكر قليلاً ثم قال:

«فورمالدهايد.. فورمالين.. هل أجده هناك؟»

«يمكنك أن تسأل لكن.. لا أعتقد إنه يباع في الصيدليات.. ولكن لماذا؟»

قال في حدة وهو يكور قبضته:

«هذا ليس من شأنك من فضلك...»

وسرعان ما غادر الفندق.. لا أعرف مشكلته لكنه في ورطة كما هو واضح من توتره..

هنا دق جرس الهاتف.. نزيل الغرفة رقم ٢٠٥ من جديد يطلق الكثير من السباب.. في النهاية فهمت مشكلته:

«لو لم تجدوا حلاً لهذه الرائحة الكريهة فليسوف أغادر فندقكم.. لكنني سأقدم بلاغاً لشرطة السياحة أولاً..»

الأمور تزداد سوءاً.. ناديت عاملي نظافة - (شعبان) لم يكن موجوداً.. وطلبت منهما أن يصعدا للطابق الثاني ولا يتركا حجراً فوق حجر قبل معرفة مصدر الرائحة..

هكذا صعد الرجلان.. غابا بضع دقائق ثم دوى جرس الهاتف من جديد.. كان هذا صوت أحدهما يقول:

«نعتقد أن الرائحة تأتي من الغرفة رقم ٢٠٧ لكن النزيلة تأبى ان تفتح..»

«سأتي حالاً..»

كنت أعتقد هذا على كل حال.. أنت تعرف أنني كنت أعتقد هذا.. ليس لأنني عبقرى، ولكن لأن أي شيء مريب يحدث في هذا الفندق يبدأ من الغرفة ٢٠٧ او ينتهي فيها..

استقلت المصعد إلى الطابق الثاني ومشيت في الردهة حتى بلغت تلك الغرفة.. بالفعل كانت هناك رائحة عضوية قوية جداً مما دعم نظرية القط الميت في ذهني.. دققت الباب عدة مرات.. في النهاية سمعت صوتاً واهناً.. صوتاً غريباً متأكلاً من وراء الباب يقول:

«لا تحاول فلن أفتح إلى أن يعود زوجي!»

قلت في كياسة:

«سيدتي.. نحن نريد الاطمئنان على جهاز التكييف.. لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة»

قالت في حزم ولكن بذات الصوت الواهن:

«لن أفتح.. لو حاولتم الدخول لأبلغت الشرطة..»

ثم انخرطت في سعال طويل حتى أوشكت أنا على الاختناق..

«لا داعي لهذه التعقيدات.. سوف ننتظره..»

نظر لي أحد العاملين متسائلاً عما سنفعله فهزرت رأسي.. ليس بوسعنا عمل شيء لأن ترك رائحة العفن أفضل بكثير من الفضيحة التي ستسببها لنا لو اقتحمنا الحجرة.. طلبت منهما رش بعض المبيدات والفينول إلى أن نتبين الأمر.

عدت إلى الاستقبال وأنا أتمنى أن ينتهي هذا اليوم.. سوف اتصل بالخواجة (مايكل) طالباً رأيه.. أعتقد أن الطرف الذي سيطلب الشرطة هو نحن..

نظرت إلى ساعتني ثم أعدت طلب (الغندوري).. هل توصل إلى شيء؟

قال في لا مبالاة:

«أعتقد إنك مخطيء.. لا توجد في أسرتنا من تدعى بـ (مها الغندوري)»..

إذن أنا قد عدت لنقطة الصفر.. هنا واصل الكلام:

«بعبارة أدق لم تعد هناك من تدعى كذلك»

«لا أفهم..»

«كانت هناك واحدة وقد ماتت.. بيني وبينك هذا كلام لا يُقال.. لكنها مأساة حقيقية.. فتاة مدللة في الرابعة والعشرين حاول أهلها أن يرغموها على الزواج من عريس لقطة من القاهرة يهيم بها حباً.. مدير شركة دعاية.. تحدد موعد الزفاف.. بل إن العريس حجز فندق شهر العسل.. هنا قطعت الفتاة شرايينها وماتت.. انتحرت.. هل تريد معلومات أخرى؟»

كان رأسي يدور حتى شعرت بأنني سأفقد وعيي..

قلت له وأنا أتماسك:

«لا شكراً.. سلم على (عمرو) و(شريف)»..

قال بلهجة عتاب:

«إنهما ليسا (عمرو) و(شريف).. إنهما (عفاف) و(ضحى).. من الواضح إنك لن تكف عن عادة الغباء»

ناديت العاملين كي يلحقا بي.. وهرعت إلى الطابق الثاني. الغرفة ٢٠٧ اللعينة.. بحثت عن (الماستر كي) ومددت يدي للباب.. وصحت: أنا المسئول الوحيد عن هذا العمل.. أنتما غير مسئولين..

صاح أحد العاملين:

«لكن.. هذا سيجلب الكثير من المشاكل حتماً..»

لكني لم أبال.. عالجت القفل واقتحمت الحجرة.. بالفعل لم أسمع صوت صراخ أو احتجاج... ما رأيناه سيظل في كوابيسي ما حييت.. فقط أنكر أن أحد العمال كان يفرغ معدته، وأن أحدهما سقط على الأرض وغطى وجهه، وأن الرائحة كانت كريهة إلى درجة أنني استطعت فتح عيني بصعوبة..

لقد تأخر الزوج عن إحضار الفورمالين.. تأخر أكثر من اللازم.. وفيما بعد عرفت إنه لم يعد به قط..

لو قلت إنني فهمت كل شيء لكنت كاذباً.. ما زال لغز هذه القصة يحيرني.. لكنني استجمعت أطرافاً عديدة.. أطرافاً عن العريس الذي انتحرت عروسه كي لا تكون له، لكنه صمم على أن تكون له برغم كل شيء، وعلى أن يتم شهر العسل في المكان والزمان المختارين.. شحوبها الشديد.. قفازان طويلان في عز الصيف.. قطرات دم عبر المدخل والمصعد وحتى الغرفة اللعينة.. محاولة إنقاذ الأنسجة بالتجفيف.. الرائحة الكريهة.. البحث المحموم عن الفورمالين.. لا أحد يغادر الغرفة حيث يقام الزفاف الشنيع الذي لم يخطر ببال الشيطان ذاته..

هناك انصراف جنسي شهير اسمه (النيكروفيليا) حيث يسرق المريض جثث الموتى ليعاشرها، وغالباً ما يكون حارس مقبرة أو عاملاً في مشرحة، أو ربما يقتل ضحاياه بنفسه ليوفر المادة الخام.. كل أطباء النفس يعرفون (النيكروفيليا)، لكنهم لم يصطكوا بعد اسماً لهذه التجربة التي شهدتها والتي ستقعم كوابيسي بالهول حتى الممات..

هدية أخرى رهيبة تقدمها لي الغرفة ٢٠٧....

تلفزيون الواقع

«التلفزيون تالف في الغرفة ٢٠٧..»

يهرع الكهربائي (سليمان) إلى الاستقبال، ويقف جوارى على الكاونتر.. يدون بعض البيانات في دفتر صغير يحمله، ثم يخرج لفافة تبغ ويقدم لي واحدة أخرى.. يحكي لي دعابة بذئثة سمعها.. لا اذكر ما هي لكنني أضحك كثيراً..

أقول له أن ينتهي بسرعة لأن نزيل غرفة ٢٠٧ لم يكف عن الشكوى..

ينظر لساعته ويطلق سبة.. من هذا المتحمس الذي يريد مشاهدة التلفزيون في الثامنة صباحاً؟.. كل خلق الله يتناولون الإفطار ويغادرون الفندق في هذا الوقت..

(سليمان) شاب نحيل صعيدي له لهجة محببة للنفس.. وهو يعرف أنها سر جاذبيته لذا لا يحاول تغييرها أبداً.. إنه قد اتخذ لنفسه خط دفاع ذكيا هو أن يكون صعيدياً جداً.. هذا يجذب الناس له على الفور..

قال لي وهو يستند على الكاونتر:

«تلفزيون الغرفة ٢٠٧؟.. هل تعني ما تقول حقاً؟»

«بالتأكيد»

«هل قمتم بوضع تلفزيون فيها؟»

هنا نظرت له في دهشة.. هذا حق.. منذ الحادث الأخير الذي سبب مأساً كهربياً في الغرفة منذ أسبوعين، لم نضع فيها جهاز تلفزيون، ولم يبق أحد فيها على كل حال.. (سليمان) لم يكن موجوداً وقتها لأنه كان عند أهله في قنا، لكنه عرف أن خلافاً كهربياً مريعاً وقع فيها... لم أحك لك هذه القصة لكن ربما أحكيها يوماً ما.. لو كان علي أن أحكي كل حادث غريب وقع في الغرفة ٢٠٧ لاحتجت إلى عدة مجلدات..

المشكلة فيما يتعلق بهذه الغرفة أن الناس تنسى، وأنه لا أحد يبقى هنا طويلاً... أمواج تعلو وتهبط.. تروح وتجيء.. لهذا لا يوجد تراكم خبرات.. الوحيد الذي يلعب دور الذاكرة وتتراكم عنده الخبرات هو العبد لله، وطبعاً عم (ميناً) المحاسب و(مصطفى) عامل المصعد.. باختصار: الشيوخ الذين لا يصدقهم أحد..

من وضع جهاز تلفزيون في الغرفة؟ ومتى؟.. لا أعرف.. لكنني لست العامل الوحيد في هذا الفندق.. وربما فعل ذلك آخرون..

قلت له أن يصعد ليرى التلفزيون ويكف عن التثيرة، وهكذا استقل المصعد.. بالطبع لا يحمل حقيبة على سبيل (الحرقة).. فقط في جيبه بكرة شريط لاصق، وهناك مفك اختبار في جيب قميصه.. الكهربائي الذي يحمل حقيبة أدوات يبدو بالنسبة له رقيقاً قليل الخبرة.. لا بد من أن يصعد ويكتشف أن المشكلة تحتاج إلى أدوات، من ثم ينزل ليحضر أدواته ويعود.. لا بد من ضوضاء و(أكشن) وذهاب ومجيء.. هذه هي طريقته في الإحساس بالذات..

غاب بضع دقائق، ثم عاد ليجلس جوارى..

سألته عما هنالك فقال:

«لا شيء.. التلفزيون يعمل جيداً.. إنه جديد.. فقط هما غيبان لا يعرفان كيف يولفان القنوات..»

ثم تباءب ووقف قائلاً:

«سأشتري بعض الفول والطعمية.. هل ترغب في أن أبتاع لك بعضها معي؟»

«للأسف لا.. موظف استقبال الفندق لن يقف على الكاونتر يأكل الفول و(يدش) بصلة.. معنى هذا أن أترد بعد عشر دقائق»

«ولم لا؟.. هل هؤلاء القوم لا يفطرون؟»

وغادر اللوبي خارجاً بينما واصلت أنا عملي..

بعد قليل دق جرس الهاتف.. سمعت صوتاً مبوحاً يسألني:

«هل يمكن أن تغيروا التلفزيون في غرفة ٢٠٧ أو تأخذوه نهائياً؟.. إنه تالف..»

«لكن الكهربائي قال إنه.. ليكن.. سوف أرسل من يبدله حالاً..»

ووضعت السماعة وبدأت الاتصال بخدم الغرف، حينما عاد الهاتف يدق من جديد:

«لقد غيرت رأيي.. أرجو أن تتركه..»

«ليكن..»

هما إذن ليسا غيبين كما قال (سليمان).. هما مخبولان تماماً..

هكذا وضعت السماعرة وتشاءبت.. لقد انتهت ورديتي، وأنا بانتظار ذلك الشاب (واثل) والفتاة المبهرجة (عزة) كي يقفا مكاني..
هنا رأيت نزيل الغرفة ٢٠٧ قادمًا..

جاء أمس ... إنهما زوجان من القاهرة.. في الأربعين هما ومن الواضح أنهما لم ينجبا بعد أو لم ينجبا قط.. الزوج مهندس يدعى (محسن) وهو كما يوحي اسمه التقليدي فعلاً.. إنه من الطراز الذي ينتجونه بالجملة بشاربه الكث ونظارته وبشرته السمراء، وهي على قدر من الجمال وإن كانت غير سعيدة على الإطلاق. تسألني كيف عرفت هذا.. بعد كل هذه السنين تصير هذه الأمور بديهية بالنسبة لموظف الاستقبال.

هذان من القوم الذين يصطاقون ليس لأنهم يريدون ذلك، بل للحفاظ على عادة.. على مظهر اجتماعي.. المهم إنهما يعلان ذلك بينما لا يرغب أحدهما..

طلبا الغرفة ٢٠٧ لأنها تواجه البحر، وقدرت أنه لن يحدث لهما شيء.. هما طبيعيان مملان فلا أتوقع أن تحب الغرفة اللعب معهما.. فقط يجب ألا يعرفا بأمر ذلك الحادث منذ أسبوعين.. هذا شيء طبيعي.. لكنني أعتقد أن المرء لو بحث جيداً لوجد منتحراً أو قتيلاً سبقه في كل غرفة فندق في كل مكان من العالم.. معنى التشاؤم والتطير في مهنتنا أن ينتهي بيزنس الفندق.. برغم هذا ما زلنا حريصين على ألا تأخذ غرفة رقم ١٣.. حريصين على ألا يعرف أي مخلوق ما نعرفه عن الغرفة ٢٠٧ ...

جاء نزيل الغرفة ٢٠٧ إلى مكاني، فhez رأسه محيياً واستند على الكاونتر وتشاءب وقال:
«خزانة الثياب..»

آه...! لم أتوقع هذا...! إنه يقترب كثيراً جداً من منطقة الخطر.. لذا سألته مالها..

«هناك خلل فيها. لماذا تنفتح تلقائياً كلما أوصدت الباب بإحكام؟»

قلت في براءة:

«هذه مشاكل نجارة.. لا بأس.. سأرسل النجار لغرفتك..»

لكنني كنت أعرف يقيناً أن هذا ليس خلل نجارة.. خزانة الثياب بالذات لها علاقة قوية بما حدث منذ أسبوعين.. وعلى قدر علمي هي لم تنفتح تلقائياً..

لم يبد الرجل مهتماً بهذه النقطة بالذات، بل كان يريد الانتقال إلى الأهم:

«والتلفزيون .. أنا متأكد من أنه يلتقط موجات الريموت القادمة من غرفة مجاورة .. لقد انفتح ثلاث مرات تلقائياً خلال الليل ..»

وكيف لو عرف إنه .. على الأرجح .. لا يوجد تلفزيون في غرفته أصلاً؟ .. لكنني فضلت الصمت .. الموظفون الذين لا يخرسون ويحبون التظاهر بالعلم ببواطن الأمور، يفقدون وظائفهم أكثر من سواهم.

«يمكنني أن أغير الجهاز لك يا سيدي ..»

«لا!»

قالها في عصبية .. ثم أردف:

«نوعية البرامج ذاتها غريبة .. من أين يأتي هذا الإرسال؟»

كانت هناك مشاكل مزمنة لأن الكابل الخاص بالفندق قد يلتقط إرسالاً لا نريده .. بعض القنوات اليونانية أو الإيطالية قد تتسرب، وما يتسرب يكون فيلماً عارياً دائماً، فيفاجأ زوجان محترمان بأن ابنتهما المراهق جالس يتابعه شاخص العينين ولعابه يسيل .. هكذا نتلقى الشكاوى كأننا تعمدنا ذلك .. بالطبع لا يشكو الابن نفسه من مشكلة كهذه ..

«نعم. نعم .. أنت تعرف ألعاب البحر مع موجات الإرسال التلفزيوني .. هذه القنوات العارية قد ...»

«لا أتكلم عن قنوات عارية ..»

ثم ابتلع ريقه وقال:

«الإرسال الذي نراه على التلفزيون هو لقطات طويلة من حياتنا .. حياتي أنا وزوجتي!»

أنت محظوظ يا سيدي ..

لقد اخترت الشخص الوحيد المستعد لأن يصدق ما تقول .. الشخص الذي يصغي لك فلا يطالبك بالذهاب لطبيب نفسي أو وضع كسرولة على رأسك، وبالتأكيد لن ينادي موظفي الفندق لينفجروا في الضحك عليك ..

أنا أعرف أنك صادق .. لكنني لن أصارحك بهذا، ولسوف أذهب معك إلى الغرفة لألقي نظرة، لكنني فعلاً مندهش من هذه الغرفة التي لا تنتهي ابتكاراتها عند حد ..

فعلاً فتح المهندس (محسن) الباب، وصاح بصوت عال:

«(نادية)!.. جئنا لنفحص التلفزيون!»

فجاء صوتها من الحمام تقول إنها قادمة..

دخلت الغرفة في تردد، وكما تعرف أنا صرت مقللاً جداً في دخولها منذ زمن.. كان
عراش غير مرتب، وعليه روب ومنشفة ومنامة.. هناك جريدة ملقاة على الأرض.. رائحة
لتبغ تملأ المكان.. جو عام يوحي بالاستيقاظ، والشرفة المطلّة على البحر مفتوحة يأتي
نفاها هواء منعش..

اتجهت إلى التلفزيون ففتحته.. لحظات ثم ظهرت على الشاشة ماما (فلانة) أو ماما
علانة) يلتف حولها عدد من الأطفال فاغري الأفواه ظاهري البلاهة.. وهي تحكي لهم عن
لثعلب الذي التهم البطّة.. ربما لم يكونوا بلهاء قبل أن تبدأ هي.. نفس البرامج المعتادة المملة..
بما الذي تتكلم عنه يا سيدي؟

نظرت له فقال في حماس مجنون:

«أؤكد لك.. لا يوجد سوى برنامج واحد.. وهذا البرنامج مخصص لسرد مشاهد من
حياتي أنا وزوجتي!»

كدت أصارحه برأيي في أن الهستيريا تصيب الرجال أحياناً، لكنني ابتلعت لساني وقلت
طريقة الفندق المهيبة الحازمة (ولسبب ما توحى هذه الطريقة في تهذيبها بالجفاء):

«التلفزيون ممتاز يا سيدي.. لو أردت تغييره فنحن تحت أمرك»

هنا شعرت بحركة.. رأيت الزوجة خارجة من الحمام تلبس روباً وقد لفت شعرها في
منشفة.. نظرت لي نظرة طويلة لم أفهم معناها.. ثم قالت:

«اسمع.. نحن نشك في أن هناك من يراقبنا بدائرة تلفزيونية مغلقة، ويذيع هذا الذي
بصوره على الشاشة ربما عمداً أو عن طريق الخطأ..»

لسبب ما تعتقد هذه السيدة أن حياتها مثيرة لدرجة أن نحولها إلى برنامج لتسلية
الغزلاء.. لم نكن نعرف (تلفزيون الواقع) ولا (الأخ الأكبر) في هذا الزمن، لذا بدت لي الفكرة
بضحكة سخيفة.. ما هو الخط الذي يفصل هذه الأفكار عن البارانونيا؟..

صحت في حماس:

«لا شيء من هذا.. التلفزيون سليم.. ما نراه هو برامج الصباح السخيفة المعتادة»

«ربما تنبهوا لهذا الخطأ..»

«سيدتي.. نحن نتكلم عن تهمة التلصص على نزلاء.. هذا كلام خطير جداً.. لابد من أن تثبتني ما تقولين وأن تخبريني أين تلك الكاميرا..»

«لا نعرف.. كاميرا التلصص يجب أن تكون غير مرئية..»

عدت أكرر وأنا أشعر بذعر ممزوج بالغضب نتيجة للهجة الحصار هذه:

«هذا آخر ما عندي.. يمكن أن أغير لكما هذا الجهاز... يمكن أن أغير الغرفة»

قال الزوج وهو يعبث في جهاز الريموت:

«بالعكس.. يجب أن يبقى هنا إلى أن نفهم ما يدور..»

ثم هز إصبعه محذراً في وجهي:

«لو اتضح أن هناك من يتجسس علينا فلنفسف أنفسك نسفا.. سأنسف كل هذا الفندق..»

«لو اتضح هذا..»

الحق إن ما يقوله شديد الغرابة.. هلوسة.. لكن هل هناك هلوسة ثنائية؟... من الواضح أن الزوجة رأت ما رآه..

هكذا.. وقد تأكدت من أنهما لا يريدان تغيير شيء.. غادرت الغرفة، وقد صرت على أتم استعداد لتصديق سيناريو الجنون..

عدت إلى الاستقبال حيث كان (مصطفى) عامل المصعد يجلس مكاني إلى أن أعود، وكان الشاب (وائل) والفتاة المبهرجة (عزة) قد جاءا على كل حال، لهذا استعددت لإنهاء هذه الليلة السوداء..

هنا فوجئت بنزول الغرفة ٢٠٧ يظهر من جديد.. من دون كلمة جرنني من ذراعي بعيداً عن الكاونتر، ليتكلم على راحته، وقال:

«اسمع.. ليس الأمر متعلقاً بالتلصص علينا هنا والآن.. هناك من كان يتلصص علينا منذ زمن في القاهرة.. المشاهد التي أراها على الشاشة تخص زوجتي.. أراها أيام الخطبة.. أراها في عملها. أراها مع أسرتها. هل عندك تفسير؟»

«هل ترى هي ذات المشاهد يا سيدي؟»

«لا.. عندما تقف أمام جهاز التلفزيون ينقطع هذا البث، لكن عندما أبتعد أنا ترى هي بدورها مشاهد من حياتي..! هذا ما تقوله...»

كان هناك تفسير واحد هو أنهما مخبولان لكن هذه ليست من التفسيرات التي يقولها العاملون في الفنادق للنزلاء.. هكذا ابتلعت لساني وعدت أكرر في عناد:

«لو أردت أن تغير الجهاز فنحن تحت أمرك»

نظر لي والعرق يحتشد على جبينه، وقال:

«هذا ليس حلاً.. ما أريده هو التفسير...»

ثم ابتعد بعينين زائغتين وقدمين أكثر زيفاً لو أمكن أن تقبل تعبيراً كهذا..

كنت متجهاً إلى حجرتي عندما وجدت السيدة أمامي!.. لن اصعد لأستريح في هذا اليوم على ما أعتقد.. كانت تلبس بلوزة غير مهندمة وسروالاً ضيقاً، فبدت كصبي مزعج في مدرسة إعدادية، وبدأ لي أنها وضعت على جسدها أي شيء وجدته لتستطيع اللحاق بي والكلام معي..

قالت لي وعيناها واسعتان يقظتان:

«الآن أطلب التفسير.. لا تقل لي إننا نخرف!»

«لن أقول أي شيء يا سيدتي ولا أملك تفسيراً..»

قالت في صبر وهي تحاصرني بالمعنى الحرفي، حتى إن ظهري صار ملاصقاً للجدار:

«اسمع.. جئنا هنا لنجد هذه الظاهرة الغريبة.. عندما أجد نفسي وحدي في الحجرة أجد التلفزيون يفتح تلقائياً، وعلى شاشته مشاهد عدة من حياة زوجي.. بعض هذه المشاهد عشتها معه وبعضها لم أره على الإطلاق.. مثلاً موضوع شقة المعادي.. زوجي لديه شقة في المعادي؟.. مدام (كاميليا) الأرملة اللعوب التي يخرج معها دون علمي، وموضوع التوكيل الذي يسرقه من خزانة ثيابي ليسحب به مالي من المصرف.. هل تعرف ما يفعله بمالي؟.. ينفقه على المدام (كاميليا) طبعاً.. هناك من يراقب زوجي ويهمه أن أعرف هذا كله..»

إن الأمور تزداد تعقيداً.. قلت لها:

«لا أعرف شيئاً عن هذه الأمور، ولم أسمع عن مدام (داليا) هذه..»

«(كاميليا).. اسمها (كاميليا).. هذه اللعبة مقصود بها الابتزاز.. تصوير الناس دون علمهم جريمة لا يمكن أن يكون هدفها إلا الابتزاز!»

ثم بللت شفتها السفلى بلسانها كأنها في نوبة ارتفاع سكر وقالت:

«عندما يدخل الحجرة تتلاشى هذه المشاهد.. لا يعرف ما أراه.. لكنه يقول إنه يرى مشاهد خاصة بي أنا.. طبعاً هذه المشاهد لا أراها.. إنه الآن في الحجرة يشاهد التلفزيون ويحرق السجائر، وعيناه تزدادان احمراراً...»

قلت متوسلاً:

«سيدتي.. لا داعي للمزيد.. سوف نبذل التلفزيون لكما في ثانية.. إن الغرفة ٢١١ سوف تخلو بعد ساعة، ويمكنكما أن...»

قالت في توحش وهي تضغط على أسنانها:

«هل تعتقد أن التخلي عن هذه الفرصة سهل حقاً؟.. مستحيل أن نترك هذا التلفزيون.. إن دراما الواقع هي الأمتع دائماً..»

ودون كلمة أخرى ابتعدت تجر قدميها كاسد جريح..

سوف تحدث مصيبة هنا.. أنا أعرف ذلك.. أنا على يقين منه.

عرفت فيما بعد أنهما ظلا في الغرفة حتى الساعة مساء..

لم يتحركا خطوة ولم يخرجوا ولم يطلبوا خدام الغرفة..

فقط عندما تسلمت ورديتي قال لي الشاب (وائل) والفتاة المبهرجة (عزة) إن خناقة مريضة نشبت بين الزوجين حتى إن النزلاء اتصلوا بهما.. قالوا إن نزيلي الغرفة ٢٠٧ يصرخان كالمجانين.. صعد رجل الأمن إلى الطابق الثاني ليجد زحاماً حول الغرفة المفتوحة، وكان المهندس (محسن) يصيح بأعلى صوته أن زوجته أنانية وأنها تطبق على روحه كالكابوس.. بينما هي تريد منه أن يحل عنها بعض الوقت كي تشاهد التلفزيون على راحتها...

قالت الفتاة المبهرجة (عزة):

«لا أفهم كل هذا الحماس لمشاهدة التلفزيون.. والغريب أن كل واحد يريد الانفراد به.. لا أرى في البرامج ما يستحق كل هذه الضوضاء..»

قلت لها في خبث:

«إن الدراما تزداد واقعية، وقد فتنّت الناس.. يشعرون بأنهم يرون حياتهم على الشاشة»

«أنت تتكلم عن الدراما الفرنسية أو الأمريكية... لو دفعوا لي مالا لأرى هذا التخلف

العقلي لرفضت..»

المهم أن النزلاء نجحوا في إقناع الزوجين بالهدوء.. وقد تطوع أحد الأشخاص الذين نعرفون ما ينبغي عمله بأن يصحب الزوج معه بعض الوقت خارج الفندق.. لم تنتظر الزوجة ولم تشكر أحدا أو تعتذر لأحد.. في ثانية واحدة كانت قد فتحت جهاز التلفزيون ووثبتت على الفراش، ثم تذكرت أن الباب مفتوح فنهضت لتغلقه في وجوه الفضوليين..

طبعًا كان التفسير واضحًا لي وإن لم أبتلعه.. ما دام تواجدهما معًا يفسد كل شيء، فمن لأفضل لكل منهما أن ينفرد بالشاشة.. كل واحد يريد معرفة أسرار الآخر بينما وجود الآخر يمنعه من هذا..

بعد نصف ساعة عاد الزوج محمر الوجه وألقى علي نظرة ثم اتجه إلى المصعد..

جلست أفكر في هذه القصة.. طبعًا هو عائد إلى الغرفة وسوف تتلاشى الصور.. ماذا بهاني؟.. إنني أفكر مثلهما وأقول ما يقولان..

لكن كيف أستطيع التفكير بطريقة أخرى؟

أشعلت لفافة تبغ ورحت أتأمل الدخان المتصاعد.. هنا دق جرس الهاتف.. نزيل الغرفة لقابلة للغرفة ٢٠٧ يشكو.. النزيلان في ٢٠٧ لا يكفان عن الشجار..

طلبت من رجل الأمن أن يصعد ويطلب منهما في تهذيب أن يخفضا الصوت قليلًا..

عاد لي بعد قليل وقد بدا عليه الاستمتاع بهذا كله.. قال لي وهو يجلس على مقعد وثير:

«إنهما عصبيان جدًا.. يتهمها بأنها تخونه وهي تتهمه بأنه يريد قتلها.. سمعت كل أسرارهما وأنا أقرع الباب.. في النهاية فتح لي الباب وكان وجهه أحمر كالطماطم.. قلت له أن يخفضا الصوت قليلًا، فقال لي في غلظة إن هذا ليس من شأني.. وأغلق الباب في وجهي بعنف.. ثم عاد يتهمها بكل شيء.. بالفاظ لا أعرف كيف أكررها مع إنني ذو لسان بذيء أصلاً..»

كنت أنا أفكر..

القصّة واضحة.. الغرفة ٢٠٧ تلعب لعبة مسلية مع هذين الزوجين اللطيفين.. كل زوجين في العالم يداريان أسراراً عن بعضهما.. لو قدر لكل منهما أن يعرف أسرار الآخر.. التفاهة منها والمهم.. عندها يفقد التحكم في شعوره..

دعك من الضغط العصبي الشديد المتمثل في رغبة كل منهما أن يتخلص من الآخر ليشاهد التلفزيون على راحته.. هذا عامل آخر..

أعتقد أن جريمة قتل ستحدث هذه الليلة.. القصّة واضحة تماماً....

هذه هي لمسة الغرفة ٢٠٧ المباركة..

هكذا طلبت سليمان الكهربائي الصعيدي الشاب.. جاءني وهو يردد موالاً صعيدياً لم أفهم حرفاً واحداً من كلماته، فقلت له:

«سليمان.. لأسباب لا أستطيع ذكرها أرغب في أن تقطع الكهرباء عن الغرفة ٢٠٧..»

«هل جنت يا ولد عمي؟»

«ليكن.. ربما جنت... لكن هل يمكنك أن تفصل الكهرباء عن التلفزيون وحده؟.. أريد ألا يعمل هذه الليلة.. لا أريد أن تقطع الإرسال عنه بل أريد أن يتحول لقطعة من البلاستيك.. أريد أن تفعل هذا من دون أن تدخل الغرفة..»

فكر قليلاً وراح يجري بعض الحسابات في ذهنه، ثم هز رأسه..

«مممكن.. أعرف من أين تأتي كهرباء الغرفة.. يمكن أن أقطع السلك الخارج من لوحة التوزيع.. سيكون هذا مؤقتاً طبعاً على أن أعيد لحامه في الصباح..»

«افعل هذا الآن.. أرجوك»

هكذا هز رأسه وهو غير فاهم واتجه إلى السلم قاصداً الطابق الثاني.. كالعادة لا يحمل إلا المفك والشريط اللاصق وطناً من الثقة بالنفس..

جلست أتأمل سيجارتي التي أوشكت على التفحم من دون أن أظفر منها إلا بنفسين..

وفجأة تصلبت.. هذا الموقف يبدو مألوفاً.. نفس ما حدث منذ أسبوعين مع اختلافات عديدة.. في تلك المرة كانت هناك شكوى من ضوء الأباحورة الذي يتوهج طيلة الوقت.. كيف نسيت؟

هرعت إلى المصعد استقلته إلى الطابق الثاني..

رحت أركض في الردهة كالمجنون .. الممرات خالية والغرف خالية .. في هذه الساعة يندر أن يتواجد أحد في غرفته ..

أين لوحة التوزيع تلك؟ .. أين ذهب ذلك التعس؟

هناك عند نهاية الممر قرب سلم الطوارئ وجدته واقفاً .. باب لوحة توزيع الكهرباء مفتوح، وضوء الردهة ينبض كقلب رضيع .. بينما هو يحتضن الباب في حنان غريب .. أيت عينيه الجاحظتين وزاوية فمه التي ترتجف .. ماذا أفعل؟

وجدت مكتسة ملقاة على الأرض فحملتها وسددت له ضربة قوية ألقت به أرضاً .. سقط شاخص العينين وعلى وجهه الأسمر شبح ابتسامة كأنما انتشى من العناق ..

لا يتنفس .. ارتميت على صدره ورحت أضرب قلبه بكلوة يدي، ثم ثبتت شففتي على لففته ونفخت .. يجب أن أحافظ على الإيقاع .. لا وقت لطلب نجدة ..

فقط رفعت عيني لأنظر إلى اللوحة المفتوحة .. لا أفهم في الكهرباء لكن هناك فوضى فارمة .. الكثير من الأسلاك العارية .. من شبه المستحيل أن تفتح هذا الصندوق من دون أن صرعك التيار الكهربائي والأسوأ .. الأسوأ أن الأرض مبتلة تماماً .. هناك بركة ماء تحت للوحة وهو يلبس شبشباً في قدمه .. إذن ..

إنه يسعل .. صدره يعلو ويهبط .. هلم أيها الصعيدي خفيف الدم .. سوف تفعلها ..

«هلم يا (سليمان) .. الصعايدة جدعان .. وأنا لم أر منك أية جدعة حتى اللحظة .. هلم .. يسعل! ... ابصق! ... تنفس!»

كنت أقولها له وأنا أوجه له المزيد من الضربات على صدره ..

إنه يعود .. سيعيش ...

في هذه اللحظة شعرت بمن يقف بجواري، وشممت عطراً مسكراً .. رفعت رأسي لأجد زوجين في كامل أناقتهما وقد تأبطت الزوجة ذراع زوجها .. كانا يضحكان بصوت عال ..

قال الزوج:

«لعله بخير ..»

وقالت الزوجة:

«نحن راحلان غداً .. أرجو أن تعد لنا الحساب ..»

قلت بصوت لاهث:

«وماذا عن التلفزيون الذي يعرض مشاهد من الواقع؟»

تبادلا النظرات ثم قال الزوج في بساطة:

«تلفزيون؟.. لا يوجد تلفزيون في غرفتنا!.. أنت تعرف هذا»

وابتعدا في الردهة وهما يضحكان، فارتميت على الأرض وألصقت ظهري بالجدار بجوار سليمان الذي بدأ يسعل ويسترد أنفاسه..

دعابة أخرى ثقيلة من الغرفة ٢٠٧ كادت تكلف سليمان حياته.. لقد حاول قطع الكهرباء في الظلام وهو يقف في بركة ماء، فقط ليدس يده في وكر ثعابين.. كل هذه القصة عن التلفزيون الذي يفضح كلاً منهما مجرد أكذوبة متقنة.. أعرف يقيناً أنني لن أجد في غرفتهما جهاز تلفزيون.. وأنني عندما أبحث عن اسميهما في الدفتر لن أجدهما..

أعرف هذا يقيناً لأنني أعرف الغرفة ٢٠٧ جيداً..

أعدها لي

يا فتاح يا عليم يا رزاق كريم..

مكالمة على الصبح من الخواجة الطلياني (مايكل) مدير الفندق شخصياً.. معنى هذا أنه يريد أن يلتهم أحدنا على الإفطار.. أعرف هذه المكالمات الصباحية وأعرف أنها تنتهي بالخصم أو الطرد أو ما هو أسوأ..

يريدني.. ليس لي قدم لي علاوة أو يزوجني ابنته طبعاً..

هكذا تركت الكاونتر واتجهت إلى مكتبه عارفاً أن مصيبة تنتظرني.. تتحرك في أعماقي كل عقد كراهية الأجانب وتوقع الشر منهم.. أجداد هذا المدير كانوا يذبحون المصريين عندما رست سفنهم على ساحل الإسكندرية، ولا بد أن جده كان يمشي متغطرساً بالدروع الحديدية البراقة تحت لواء أوكتافوس.. ربما مشى في موضع هذا الفندق يوماً ما، ولم يعرف أن حفيده سيكون المدير وإنني سأكون موظف الاستقبال.. لا بد أنهم كانوا يتعاملون بغطرسة وتوحش مع الفلاح المصري القادم من البحيرة الذي كان جدي طبعاً.. ربما ألقوه للأسود كذلك..

يجب أن ننتقم.. يجب أن يدفع هؤلاء ثمن سيطرتهم على البحر المتوسط.. لا بد من (عمرو بن العاص) جديد يخرب بيوتهم ويحرق حصونهم و.....

«تعال هنا يا خبيبي!»

هنا فقط كففت عن الكفاح المسلح ومشيت لأقف أمام مكتبه مطرقاً..

الرأس العملاق بلا جسد الذي يخرج من المكتب ولا يكف عن اللوم.. هذا هو الخواجة (مايكل)..
 قال لي وهو يقلب أوراقه:

«الغرفة ٢٠٧.. هل تعرفها؟»

يسألني أنا عن الغرفة ٢٠٧؟ وعلى الصبح؟.. هذا يوم نحس لا أول له ولا آخر.. سوف يدفنتني فيها بالتأكيد.. والأهم أنه نسي أنبني أول من كلمه

عنها، وكيف انتزع مني ذلك الوعد بالألا أتكلم عن الغرفة أبداً لأن هذا مؤذ للبيزنس.

«أعرفها يا خواجه»

«حسن.. هناك إشاعات كثيرة عن هذه الغرفة.. لا أعرف المصدر لكنني أعتقد أنه فندق منافس هنا في مرسى مطروح.. لقد قررت أن أجري بعض التجديدات على هذه الحجرة.. عملية كبيرة بحق.. أريد شخصاً أثق به يقوم بهذه المهمة.. لا أريد شخصاً غريباً...»

ثم نظر لي بعينه الزرقاوين الفاحصتين الباردين السمجتين:

«هل تعتقد أن هذا بوسعك قبل أن يبدأ الموسم؟»

طبعاً لا أحد يقول لا للخواجه أبداً.. معنى هذا أن تنسف نفسك نسفاً.. لهذا أعلنت أنني متحمس للمهمة وإنني خير من يقوم بها..

هكذا غادرت مكتبه وقد صرت مسئولاً عن تجديد هذه الغرفة المشؤومة التي لم تُجدد منذ جئت للعمل هنا..

أجريت بعض الاتصالات ورتبنا أن نجري إصلاحات في السباكة والكهرباء.. لا بد من عامل محارة.. نريد من يلصق ورق الحائط.. بعض الديكورات.. أثاث جديد..

هكذا تسير الأمور..

في اليوم التالي جاء السباك وصبياناه والكهربائي وصبياناه..

كما تعرف كنا في الشتاء لهذا كانت نسبة إشغال الغرف قريبة من الصفر.. معنى هذا أن الضوضاء لن تضايق أحداً..

فتحت باب الحجرة وتلوت آية الكرسي كعادتي. كانت غارقة في الظلام والهدوء، ما عدا رائحة البخور المعلقة في الجو.. أنت تعرف أننا نبخرها ونتلو الأدعية يوم الجمعة.. عم مينا يجلب من حين لآخر بعض الماء المقدس من الكنيسة ويرشها.. كنا على اختلاف أدياننا نؤمن بأنها تحوي لغزاً مخيفاً، فلا يقدر على مواجهته إلا ما نؤمن به..

لكن من الصعب أن يحدث شيء مروع مع كل هذا الزحام...

سألت الكهربائي عن الوقت المتوقع لإنهاء مهمته فدرس لفافة تبغ خلف أذنه وقال:

«ثلاثة أيام.. سوف نغير أم شبكة الأسلاك كلها وندفن أم الشبكة الجديدة في الجدار..»
ثم بدأ يشتم في أم الكهربائي السابق الحمار كالعادة.. دائماً أنت تقف أمام أبرع حرفي
خلقه الله، وقد نجوت بمعجزة من الحمقى الآخرين...

وعندما انطلقت إشارة البدء تحولت الغرفة إلى ساحة معركة.. أولاً أخرجنا ما فيها من
ثاث، وفتحنا الشرفة ليدخل هواء البحر ويغير رائحة القدم هذه.. ثم انطلق كل واحد
الدقماق في يده يحطم جزءاً من الجدار... الغبار يتطاير والفندق يرتج مع كل ضربة..
هكذا غادرت ساحة المعركة هذه وعدت إلى الاستقبال..

بعد ربع ساعة ناداني الكهربائي لأن هناك مشكلة.. شظية طارت واستقرت في عين
سبيه.. هكذا التففنا حول الغلام الذي احمرت عينه كالطماطم.. قمت بغسل عينه وأرغمته
لي أن يفتحها في دلو به ماء.. هذه الطريقة كانت تنجح دائماً..

كنت اضغط على أسناني وأتماسك بصعوبة.. هذا عمل عنيف لا بد أن تنجم عنه
مصائب.. هذا متوقع.. لا يجب أن تكون الغرفة مسئولة عن كل واحد يلوي إصبع قدمه..

بعد قليل عاد العمل لمساره الطبيعي.. بدأت فجوات تتكون في الجدار، بينما كان
سببناك في الحمام يمارس في شغف مهمة تخريب السيراميك.. الهدم ممتع دائماً أكثر من
لبناء بمراحل..

يبدو أن التزامن لم يكن دقيقاً بين الفتيتين اللذين يساعدان السببناك، لأن أحدهما هوى
الدقماق على يد الآخر التي كانت تنتزع قطعة من سيراميك الجدار..

صاح الفتى في جنون، ومن الواضح أن عظام كفه تهشمت..

أخذوه إلى المستشفى ويبدو أن هذا استغرق وقتاً لا بأس به.. لكنهم عندما عادوا قالوا
لي إن يده ستبقى في الجبس لفترة..

«مهنتنا - ولا مؤاخذه - خطرة.. لكن الناس لا تقدر»

نعم.. هذا هو التفسير.. لا يوجد تفسير آخر..

الظهير.. وعملية الهدم مستمرة..

يبدو أن أحد صبيي الكهربائي انزلق من على السلم، وأوشك على أن يهشم رأسه.. لولا
أن الستار موجود..

قلت للكهربائي في عصبية:

«هل تنوي أن تقضي اليوم في الإصابات؟.. لماذا لا تحضر صبيانًا محترفين؟»

حك رأسه في حيرة وأشعل لفافة تبغ وقال:

«هم كذلك.. لكن هناك شيئًا نجسًا في أم الجو اليوم..»

ثم راح يتأمل الفجوات التي صنعوها.. ودس لفافة التبغ بين شفطيه وأمسك بعلمبة الثقاب وقال وهو يتأمل الجدران في خبرة:

«الأسلاك بالية تمامًا.. لا أعرف كيف ظل في هذه الغرفة كهرباء.. كيف لم تشتعل وتتحول إلى فحم..؟»

كان أحد الصبيين يواصل إحداث تجويف في الجدار.. ثم هتف:

«انظر هنا يا أسطى..»

اتجه الأسطى معه إلى حيث يريد.. ألقى بنظرة على التجويف الذي صار أقرب إلى جيب يجب أن تدنو منه لترى ما وراءه.. ثم قال لي:

«هل هناك كَمرة وراء أم هذا الجدار؟»

صارحته بأنني لا أعرف أي شيء ولم أبن هذه الغرفة.. كَمرة أو لا كَمرة.. الأمر لا يعني.. أريد أن ينتهي هذا كله قبل أن يرى الخواجة المنظر..

جثا على ركبته واختلس النظر.. ثم مد ذراعه حتى المرفق داخل التجويف..

سمعته يتنحى متسائلًا عن كنه هذا الشيء ثم قرب وجهه أكثر ليرى.. أشعل عود ثقاب ليتمكن من النظر حتى تذكرت صورة شهيرة جدًا لـ (كارتر) وهو يدخل شمعة في فجوة جدارية في قبر (توت عنخ آمون).. كان يريد التأكد من وجود أكسجين من عدمه.. يبدو أن هذا هو الحال هنا على كل حال..

«بسم الله الرحمن الرحيم!.. ماذا يدور هنا؟»

بالفعل كانت عظمة..

لا شك في هذا..

صحيح إنني لا أملك ثقافة طبية، لكن كل إنسان يعرف عظمة الساعد عندما يراها..
عظمة ساعد حجمها لا بأس به وكل شيء يحدثني بأنها بشرية..

إنها لامعة غير مغطاة بالغبار أو المونة.. واضح أن من وضعها هنا لم يقصد أن يعجزها
سمن خامات البناء..

ساد الوجوم المكان.. لا صوت إلا صوت موج البحر القادم من الشرفة..

ثم قال الكهربائي وهو يضع العظمة على جريدة ممزقة:

«نحن نجد أشياء غريبة في هذه المهنة.. تصور إنني هدمت جداراً ذات مرة فوجدت قطعة
يئة كاملة.. كانت متكلسة ومحتفظة بوقفها حتى تحسبها حية..»

ثم لوح بالعظمة التي لفها في الجريدة وقال:

«يجب أن تدفنها.. هه؟.. واضح أنها بشرية»

هنا سمعنا صوت السباك يصيح من الحمام فهرعت إلى هناك..

كان يجلس القرفصاء أمام فجوة في الجدار وسط السيراميك وقد أخرج منها شيئاً لم
يهم ما هو.. ثم أدركت أنه قطعة ميتة كاملة متكلسة!

قال الكهربائي وهو يلقي نظرة على ما وجده السباك:

«هذا هو ما قلته لك!.. قطعة كاملة...!.. أشياء غريبة جداً في أم هذه المهنة»

ثم تأمل الهدم الذي أحدثه السباك في الحمام وقال:

«الله ينور عليك يا أسطى..»

«وعليك»

كنت أنا موشكاً على الجنون.. هؤلاء القوم لا يجدون شيئاً غريباً في جدار به عظمة
ية وقطة.. إنهم يتبادلون المجاملات ويتعمون بوقتهم حقاً.. ما معنى هذا؟

قال الكهربائي وقد رأى حيرتي:

«القطعة تسالت هنا ولم تعرف كيف تخرج.. العظمة على الأرجح تؤكد أن اثنين تشاجرا
لنا. أحدهما قتل الآخر بينما الجدار تحت التشييد وأخفاه هنا.. كانت هناك فجوة لذا دس
جثة فيها، ثم سدها بالمحارة.. أعتقد أنه عامل المحارة الذي كان يعمل في هذه الغرفة عند

بناء الفندق.. لكنه بالتأكيد قد مات الآن.. لا بد أن هذا قد حدث منذ خمسين عاماً على الأقل..
فليرحم الله الجميع!

إذن هناك جريمة قتل حدثت في الغرفة ٢٠٧ أثناء تشييدها..

هذا قد يفسر الكثير. أعرف هذا النوع من القصص.. هذه العظام ترغب في أن تخرج من
مكمنها وأن يُصلى عليها وتُدفن دفناً لائقاً.. الكتب تعج بهذا النوع من القصص.. الشبح
الصاحب.. الظواهر الغامضة..

أعتقد أن الغرفة ٢٠٧ توشك على أن تكشف عن سرها الدفين.. سوف نعرف أكثر..
قلت للكهربائي:

«يجب توسيع هذه الفتحة..»

قال وهو يشعل لقافة تبغ أخرى:

«لا داعي.. لدينا تجويف يسمح ببتثبيت أم خراطيم الأسلاك..»

ومد يده إلى الأرض ليلتقط خرطومًا بلاستيكيًا أحمر يلتف حول نفسه كالثعبان.. كان
يريد الانتهاء من هذه العملية ولا وقت لديه يمنحه للجثث المدفونة في الجدران. لكنني
استوقفته.. وكررت أمري بأن يهدموا الباقي.. لا بد من معرفة ما تحتويه هذه الخزانة
المرعبة..

نظر لصبيه فتنهّد هذا في استسلام، وهوى بالدقماق على جدران الفتحة..

بدأت الفتحة تتسع لكن لا شيء.. لا توجد عظام.. لا يوجد شيء سوى كيس بلاستيكي
قديم تلتف حوله خرقة ولا تعرف دوره في الموضوع، لكن الانطباع الذي أخذناه هو أن هذا
الجدار أجوف في معظمه.. هناك طبقة أخرى خلفه يعلم الله وحده ما تخفي..

كان الضوء قد خفت وبدأت الشمس تتنأب معلنة عن رغبتها في الانصراف.. نهار
الشتاء القصير قد تعب وقام بما فيه الكفاية.

هكذا خرج السباك وصبياناه والكهربائي وقتيته.. والكثير من الله ينور يا أسطى..
تبادلا لفافات التبغ واتفقا على اللقاء غداً.. غداً سيكون هناك الكثير من الرمل والأسمنت
ومن يزيل هذا الطوب المهشم كله...

كنت انا غارقاً في أفكاري السوداء..

معنى هذا أن نظرية القتل والدفن في الجدار لا أساس لها من الصحة.. أن تجد عظمة
أحدة في الجدار يعني أنه لا جثة هناك..

يعني أن هناك من دفن عظمة واحدة فقط !

ولماذا فعل ذلك ؟..

الأمر كله يوحي بتعويذة ما.. شيء قريب من موضوع الأعمال المدفونة، لكني بشكل ما
أشعر بأنه أعقد من ذلك..

هكذا ظلت غارقاً في الأفكار المختلطة حتى انتهت ورديتي. حملت الجريدة التي تحتوي
لعظمة، وصعدت إلى الغرفة البسيطة التي أقيم فيها، حيث كانت صينية العشاء تنتظرني
على الباب.. جبن وبيضنة وخبز فينو صغير وكيس من اللبن..

أغتسلت جيداً.. من الغريب إنني لم أساهم في عملية الهدم، لكن الغبار كان في كل
مليمتر من ثيابي، ورأيت أن شعري يوحي بأنني أصبت بشيب مبكر.. حتى أظفاري كانت
تحتها طبقة كثيفة من الغبار.. غداً سوف أجد طريقة لاثقة للتخلص من تلك العظمة..

جلست ألتهم العشاء في صمت، وأنا أسترجع ذكريات اليوم، ثم قررت أن اخلد للنوم..
أندس تحت الأغطية الثقيلة.. لا تنس أن الجو زمهري..

هل هو كابوس ؟.. لا أعرف متى بدأ ولا كيف.. أعتقد أنه بدأ مبكراً جداً قبل مرحلة
(حركة العين السريعة) إياها.. نعم أنا أعرف مراحل النوم فلا تنس أنني مثقف.. كان
هناك قط شرس المنظر له أنياب طويلة كالسيوف، وكان يموء بطريقة هي أقرب إلى
العواء.. عينان فيروزيتان خضراوان تقتلان.. كل عيون القطط مخيفة مسحورة منذ
عرفها الإنسان..

أقف في مكان خال ممتد لرمي البصر، يذكرك بتعريف الفراغ في كتب الفيزياء، ومن
الأرض يتصاعد ضباب أخضر ثقيل..

ثم يظهر ذلك الرجل الطويل الذي يلتف في الضباب فلا ترى وجهه.. فقط يلوح
بذراعه.. وذراعه مبتورة.. يلوح بأصلها المجدوع في وجهي.. وأسمع صوته البارد يقول:

«أعدّها لي !»

هه ؟.. أنا لا أفهم.. عم تتحدث بالضبط ؟.. من أنت ؟

«أعدها لي!»

ويعوي القط في مكان ما.. العرق يتصبب من جبينني.. إنه عسر الهضم.. أعرف هذا.. ما كان يجب أن أفرط في... أفرط في ماذا؟.. ليس الجبن والبيض بالعشاء الذي يسبب الرؤى الكابوسية.. أعدها لي...

أنهض من النوم صارخاً.. لحسن الحظ أتحكم في نفسي قبل أن تدوي الصرخة.. لن يسمعها أحد لكنها ستثير رعبي أنا نفسي.. العرق يبلل الوسادة مع إن الطقس بارد..

أعدها لي!

الآن أتذكر الكابوس بوضوح.. أقرر على الفور أن هذا لم يكن كابوساً.. ثمة شيء ما يريد شيئاً ما لهذا زارني في المنام.. أعدها لي!.. يتحدث عن عظمة الذراع طبعاً.. من يدري؟.. لربما كان هذا هو الحل..

لربما كانت عندي القدرة على إنهاء هذا الكابوس.. لكن لا بد أولاً من أن أدخل الغرفة ٢٠٧.. أدخلها هذه الليلة بالذات.. أدخلها وحدي لأقوم بمهمة مجنونة بعض الشيء!

على قدر علمي هذا الذي زارني في المنام هو صاحب العظمة الأصلية.. بالفعل نظرية الروح القلقة تتأكد شيئاً فشيئاً.. لا بد من التخلص من بقايا الذراع وجثة القط المتكلس.. هكذا تصير الغرفة نظيفة من تلك اللعنة.. اللعنة التي زرعها أحدهم في زمن ما واستمرت حتى اليوم..

لقد كلفني بهذا شخصياً ولا أريد تخيل ما قد يحدث لو لم أفعل..

إنه منتصف الليل..

هذه أكثر المرات التي أزور فيها تلك الغرفة ضغطاً على الأعصاب.. لا يوجد نزلاء.. الفندق خال مظلم.. فقط صفير الريح من هذا الشباك مهشم الزجاج أو ذاك.. وحدي تماماً.. وحدي تماماً وعلي أن أدخل الغرفة لأنفذ مهمة غامضة..

كان الباب مفتوحاً.. طبعاً.. كان هناك عمال هنا..

هواء البحر البارد يوشك على أن يطيرني من مكاني حيث وقفت على الباب.. لا توجد

كهرياء طبعاً.. فقط هناك أكثر من جبل من الطوب المهشم يرتفع كأنه وحش اسود.. رائحة الغبار.. أسلاك تتدلى من السقف ومن الجدران..

أمشي فوق الأرض الترابية اللينة.. أضيء الكشاف الذي جئت به.. يلقي ظلالاً غامضة على كل شيء.. أتقدم نحو تلك الفجوة في الجدار والتي قام الفتى بتوسيعها قدر الإمكان.. أتفحصها في ضوء الكشاف..

أنا متأكد من وجود جثة كاملة مدفونة هنا.. جثة من دون ساعد.. هذا الساعد هو ما وجدناه، وقد سبب هذا مشكلة لصاحب الجثة الذي يرغب في أن يدفن قطعة واحدة.. سوف أجد الجثة وأعمل على أن تدفن بشكل لائق مع الساعد.. ربما مع القط أيضاً.. لن تكون هناك عظام بعد اليوم في الغرفة ٢٠٧.. لا عظام ولا قصص مخيفة..

أين هذه الجثة؟

رحت أنقب في الفجوة التي تركها الفتى.. إن حوافها هشة لا تحتاج إلا إلى القليل من الجهد كي تستجيب.. هكذا وضعت الكشاف على الأرض ورحت أحاول توسيعها.. هناك عتلة نساها هؤلاء هنا وهي تناسبني فعلاً، فليس الوقت وقت استعمال الدقماق الذي سيوقظ الجميع..

واصلت العمل.. توسيع الفتحة أكثر فأكثر..

الآن أرى شيئاً أبيض.. عظمة على الأرجح..

هكذا رحت أجاهد حتى أخرجتها.. غريبة هي.. ربما عظمة فخذ.. لكنها طويلة جداً جداً.. أعتقد أن طولها نحو متر ونصف.. من جديد مددت يدي ورحت أبحث.. هذه المرة وجدت عظام كف.. وضعتها على الأرض وتأملتتها في ضوء الكشاف..

واصلت البحث وقلبي يوشك على أن يثب من فمي.. وفي كل دقيقة أدرك الموقف أكثر..

لقد تناثرت العظام على الأرض من حولي.. والآن فقط أفهم أن هذه عظام لا تمت للبشر بصلة حتى لو كانت عظمة الساعد معقولة نوعاً.. ثمة شيء مجهول مدفون في الجدار... شيء يذكرني بوصف الجن في حكايات أمي...

مددت يدي إلى الأرض فاصطدمت بشيء طري أجفلت لدى لمسه..

ثم تذكرت الكيس البلاستيكي الذي أخرجناه.. لقد ألقيناه في إهمال لأنه بدا لنا بلا قيمة..

دسسته في جيبتي ونهضت.. ألقيت نظرة على هذه العظام الرهيبة الملقاة على الأرض..
ثم غادرت المكان مسرعاً.. ولسبب ما أغلقت الباب بإحكام من خلفي..

في حجرتي أعددت لنفسني كوباً من الشاي ثم جلست على الأرض وفتحت الكيس..
كان يحتوي كيساً آخر.. وداخل الكيس الثاني كانت رسالة على ورق مهترىء مصفر،
بخط متعرج شنيع.. لكنه واضح..

كانت تقول:

«لقد تمكنت من أن أسجنه في الجدار.. قمنا بحجبه وراء طبقة كثيفة من الملاط، لكنه
ليس ميتاً.. أوكد أنه ليس ميتاً.. عندما تجد هذه الرسالة فعليك أن تصدق ما فيها.. لا تحاول
أن تحرره من الجدار.. لو أخرجت عظامه لاستعاد نشاطه كاملاً.. سوف يتحرر وسوف
يخرج إلى العالم.»

«كتبها صاحبها في مايو ١٩٣٤»

سقطت الرسالة من يدي..

معنى هذا أن ما كان في الجدار ليس جثة أخفيت هنا. بل هو سجين.. سجين يهم
صاحب الرسالة ألا يتحرر..

وأنا حررته!

ثمة شيء ما كان يجوب الفندق عام ١٩٣٤ وقد تمكن أحدهم من أن يستدرجه للغرفة
ويحبسه في هذا الجدار..

لقد وضع صاحب الرسالة رسالته في موضع بارز بحيث يجدها من ينقب الجدار أولاً،
لكننا لم نفعل.. بدأنا بالتنقيب ثم قرأنا.. كان هذا خطأ فادحاً.. كان خ.....

هنا دوت الطرقات على الباب..

لم تكن طرقات واحد من رفاقي.. لأنه لا يوجد منهم الكثير الليلة.. ولا طرقات عابر
سبيل.. هي طرقات عملاق يوشك على اقتلاع الباب من مفاصلاته.. طرقات من يعرف أن له
الحق في الدخول مهما كان رأيك أنت..

صحت بصوت مبجوح:

«من هذا؟»

هنا جاء الصوت المؤلف:

«أعدها لي»

هكذا اندسست تحت الأغطية أرتجف وأنظر إلى الباب.. لم يعد هناك شك في شخصية الواقف على الجانب الآخر.. لا أعرف من هو لكنني أعرف ما هو..
الطرقات تتوالى في قوة.. المزلج يوشك على أن يتحطم..

هنا حانت مني نظرة إلى البساط جوار الفراش.. تلك الجريدة الملفوفة حول شيء ما..
لقد نسيت.. كنت أنوي أن أتخلص منها غداً لكنني أعرف الآن ما علي عمله..
حملت الجريدة.. وقفت خلف الباب وأخذت نفساً عميقاً.. ماذا لو كنت مخطئاً؟.. ماذا لو كنت حماراً؟

عندها لن أعرف ذلك على الأرجح..

بسرعة البرق بين طريقة وأخرى أزحت المزلج.. فتحت الباب وأنا وراءه وطوحت
بالجريدة في الردهة.. ثم أغلقت الباب وأرجعت المزلج..
كان قلبي يدق كالطبل الآن.. سقطت على ركبتي لأن ساقي لم تعد تتحمل..
انتظرت أن ترجع الطرق لكنها توقفت.. توقفت فعلاً...
ولم أنم في تلك الليلة..

عندما جاء العمال في الصباح الباكر كانوا مندهشين لأن باب الغرفة ٢٠٧ منتزع من مكانه.. منتزع بقوة لا يعرفون مصدرها..

قال لي الكهربائي:

«نحن تركنا الباب مفتوحاً فهل أغلقه أحد؟»

«لا أدري»

ولاحظت بلا دهشة كبيرة أن العظام التي أخرجتها لم يعد لها وجود.. لا يوجد شيء
على الأرض كأنني لم أكن هنا أمس..

أصدرت تعليماتي لهم بأن يسدوا الفجوة إياها بالمونة بأسرع وقت ممكن.. لا نريد

خراطيم ولا أسلاكًا هنا.. كانوا مندهشين لكنهم قاموا بما طلبته.. لا أعرف هل حبست هذا الشيء بالداخل أم حبسته بالخارج لكنني لن أجازف ثانية..

واصلوا الدق ثم سمعت احد الفتية العاملين مع السباك يصيح:

«هناك قطعة عظم في الحمام تحت طبقة السيراميك!»

جريت إلى هناك وأمرته بأن يعيدها إلى الجدار.. من فضلك لا تخرج أي شيء من مكانه..

قال الكهربائي وهو يشعل لفافة تبغ جذبها من خلف أذنه:

«أشياء غريبة في هذه المهنة.. أشياء غريبة بحق.. ذات مرة هدمت جداراً فوجدت ثعباناً حياً.. لكننا لا نبالي بهذه الأمور يا أستاذ.. نحن صنايعية نشقى من أجل لقمة العيش..»

ثم حك رأسه وسألني:

«لكن.. لماذا تهتمون بالتجديدات في هذه الغرفة بالذات؟.. لماذا أم الغرفة ٢٠٧ دون

سواها ؟؟؟؟»

النمط رقم (٤)

الحياة لا تدلنا ولا تقف بانتظار أوامرنا وأوهى رغباتنا.. هذا يحدث في المطاعم الفاخرة، حيث يتم معاملتك كزبون، بينما الحياة لا تعتبرك زبوناً يجب إرضاءه في كل الأوقات.. إن لم يرق لك المطعم يمكنك أن ترحل ولسوف يأتي غيرك فوراً.. و(ما نعطالكش بأه)...

في الأيام الأخيرة كثرت المضايقات، ولن أصدع رأسك بها، لكن تدهور علاقتي مع يوليوس قيصر صار أمراً واضحاً مزعجاً للجميع، وقد قال لي الناصحون أكثر من مرة:

«(يوليوس قيصر) ليس خصماً هيناً.. لا تحاول أن تتورط في كراهيته»

لكنني كنت فاقد الإرادة كما تعلمون، والسبب هو عشقي للجمال..

ولكن دعني أقص عليك القصة من بدايتها ولتكن حكماً بيني وبين هذا الطاغية الإيطالي..

كنت أمارس العمل الوحيد الذي أعرف كيف أقوم به: الفندقية.. لربما كنت أداري تحت جلدي جراح أعصاب عظيماً أو عالماً نووياً لكنني لن أعرف هذا أبداً.. منذ عرفت أن البشر يعملون وأنا أقف على هذا الكاونتر أتسلى في وقت الفراغ بالقراءة ومراقبة الناس.. هل توجد طريقة أخرى للحياة؟.. لا أعرف..

كانت (سارة) الخبيثة مضيعة الفندق التي لا تكف عن ملاحظة الناس تقف مستندة إلى الكاونتر، تلوك اللادن كعاداتها وتعطي استنتاجات ذكية غالباً ما تصدق..

قالت لي:

«هل لاحظت شيئاً في الغرفة ٢٠٧.. النزيلين الجديدين؟»

من جديد اسمع الرقم الذي لم أعد أطيقه، والذي صار يسبب لي نوعاً من الفوبيا.. ماذا حدث هذه المرة؟

قالت (سارة) وهي تقرض أطراف أظفارها وتبصق ما تقرضه فوق مكتبي:

«النمط رقم ٤..»

«هذا مسل.. لكن ما هو النمط رقم ٤؟»

«الفتاة الشابة اللعوب المسيطرة على زوجها المسن.. برغم هذا هو رجل مهيب عظيم النفوذ قوي الشخصية وسط الرجال، لكنه ألعوبة في يدها..»

«هل عرفت هذا كله في لحظات؟»

«أنت تعرفني.. هل أخطأت مرة؟»

«لا. لكنك لم تقولي لي رأيك في شخصي قط..»

«لن تغفر لي هذا الرأي لو قلته...!! إن علاقات العمل يجب ألا تفسد بأشياء كهذه.. هناك آراء يجدر بالمرء أن يبتلعها..»

هزرت رأسي باسمًا بينما كانت هي قد فرت كعادتها.. القاعدة الأولى في بروتوكول المواجهات: قل كلمتك المستفزة واهرب قبل أن تتلقى الرد.. القاعدة الثانية: لا تعد إلا عندما يكون الطرف الآخر قد نسي ما قلته..

كنا في وردية المساء والجو هاديء عامة.. صحيح أن هذا هو الصيف لكن هناك أيامًا أكثر هدوءًا من سواها..

هكذا فتحت جهاز التلفزيون الصغير ورحت أتابع فيلم السهرة، بينما جلس مصطفى بقربي يحكي لي قصة لا أول لها ولا آخر عن ميراث حاول عمه الاستيلاء عليه، لكن المحامي تلاعب بشيء مما أدى إلى تأجيل جلسة شيء ما..

دق جرس الهاتف فرفعت السماعة.. النزيلة في غرفة ٢٠٧ تعاني مشكلة مع التكييف.. لماذا تطلبني مع إنني موظف الاستقبال؟.. لأن كل النزلاء يفعلون هذا.. كأنهم لا يقرءون رقم (خدمة الغرف) في الكتيب الأنيق الموضوع جوار الفراش..

أغلب الظن أنه لا مشكلة هناك.. الغرفة هادئة منذ فترة لا بأس بها والحمد لله.. حتى الأشباح تهمد وتحتاج إلى الراحة.. هذه نزيلة تعاني مشكلة مع التكييف فعلاً.. لا أكثر ولا أقل..

لكنني على كل حال قررت أن أصعد إلى الغرفة لأرى المشكلة..

رائحة عطرية غريبة شمممتها وأنا أدق الباب.. تذكرت ما قالتها (سارة) عن الزوجة اللعوب المسيطرة على زوجها المسن.. رأيت هذه النزيلة مرات لكنها كانت دومًا تلبس نظارة سوداء وقبعة، ولم أتبين ملامحها بدقة.. لا بد أن تكون فاتنة بحق إذا كانت (سارة) تفهم شيئًا..

دخلت الغرفة وسط العبيد السود العمالقة عراة الصدور الذين يقفون على ناحيتي الباب.. عيونهم واسعة بيضاء لامعة وسط الأبنوس الأسود، مما يوحي بقطع الرقاب في أية لحظة..

تعثرت في طاووس يمشي بلا مبالاة.. ثم رفعت رأسي فوجدت عازفة سمراء تلبس ثوباً شفافاً وتقف جوار (هارب) كبير.. كانت تنظر لي في فضول لكن أناملها لا تتوقف عن العزف.. هناك نمر عملاق مربوط بسلسلة في عنقه يجثم تحت العرش ويتثاءب.. هذا إذن هو مصير من لا يصلحون جهاز التكييف جيداً..

كانت جالسة على العرش فعلاً وقد بدا عليها الملل.. ربما يمكنك أن تكتب سطرًا أو سطرين عن الجمال.. قد تؤلف لحنًا.. قد تكتب قصيدة أو ترسم لوحة، لكنك في النهاية مجرد طفل يمسك بكوب بلاستيكي يحاول أن يسكب به المحيط فوق الرمال.. هذا ليس جمالاً.. إنه شيء لا يمكن وصفه أو التعبير عنه أو التفكير فيه..

جالسة ممسكة بمروحة من ريش النعام، وتحركها في عصبية جديرة بالملكات، برغم هذا هناك جاريتان تمسكان بمروحتين عملاقتين جوارها..

قالت لي بصوت رقيق لا يخلو من الحزم:

«أنا كليوباترا ملكة مصر.. اقترب أيها العبد..»

أنا عبد؟.. لا أطيق هذه الكلمة لكن جمالها وهيبه الموقف أخرساني فدنوت منها..

«جهاز التكييف لا يعمل كما يجب.. إن أعصاب نموري متوترة.. دعك من أن يوليوس قيصر لم يستطع البقاء هنا..»
«لو سمحت لي مولاتي..»

واتجهت إلى لوحة التحكم في الجهاز.. كما توقعت.. هم رفعوا معدل التكييف إلى أقصى حد، لكن أحرق ما جعل الجهاز يعمل للتدفئة.. هكذا حركت المفتاح وخلال ثوان بدأ الهواء البارد يملأ الغرفة..

شاعت ابتسامة رضا على وجهها وهي تحرك المروحة المصنوعة من ريش النعام أمامه:
«جميل.. جميل..»

وملأت رئتيها بالهواء البارد وسألتني:

«ما اسمك أيها العبد الوسيم؟»

«جمال يا مولاتي.. جمال الصواف..»

«هذا اسم غير معتاد.. هل تتاجر في أصواف الأغنام مع الشماليين أم تتاجر في الصبغات الحمراء مثل أهل قينيقيا؟..»

«لا يا مولاتي.. هو مجرد اسم..»

دعنتني للجلوس على الأرض بجوار العرش، وكنت أشعر بارتباك بسبب هذا النمر الوغد الجالس على الأرض تحت العرش.. بالفعل مد مخالبه وراح يعبث في طرف حذائي.. تظاهرت بالشجاعة لكنني كنت على وشك الصراخ..

جارية سمراء جاءت بوعاء من ذهب وصبت لي كأسًا له رائحة ومذاق رحيق الأزهار فشربت.. بينما سألتني كليوباترا:

«هل أنت مشغول؟.. لماذا لا تبقى معي قليلاً؟»

«لا مشكلة..»

تلا هذا أروع حفل ساهر يمكن وصفه.. لقد دخلت مجموعة من الراقصات الرشيقات ورحن يؤدين فقرات بهلوانية لا يمكن أن تصدقها ما لم ترها.. ثم ظهر سحرة من بلاد الشمال يأكلون النار.. وأفارقة يصارعون التماسيح.. وكل هذا في الغرفة التي لا أعرف كيف اتسعت لهذا كله..

قالت لهم كليوباترا بلهجة الملكة الملول:

«والآن ارحلوا!!»

هكذا تفرق الجمع.. هناك من اتجه إلى الباب ومن قصد الشرفة ومن دخل الحمام.. لم يبق سواي وسواها والنمر..

ساد صمت ثقيل.. أنت تعرف كيف يشعر المرء مع الملكات. الملكات اللاتي تخطى جمالهن حدود المعقول أو المنطقي.. من الأحق الذي قال إن كليوباترا لم تكن جميلة؟..

قالت لي:

«لا توجد تسلية هنا.. كل هذا ممل ومعتاد ولا أرى سواه.. أحيانًا أذهب للاستحمام عند تلك الصخرة..»

«حمام كليوباترا.. أعرفها..»

«لكنني في النهاية حبيسة هنا.. مع عجوز غيور متشكك..»

فجأة سمعنا قرعات قوية على الباب.. فهتفت في ذعر:

«لقد عاد قيصر!... لن يعتبر وجودك هنا بريئاً!!»

ودخل (يوليوس قيصر) العظيم إلى الغرفة..

كان مسناً بحق، لكنه مهيب بشكل لا يصدق، ووجهه مليء بالتجاعيد بينما ينسدل شعره الشائب على جبينه لأنه يضع خوذته تحت إبطه.. دروعه تتألق في ضوء المشاعل وهو ينظر لي نظرة نارية، بينما يقف وراءه قواد رومانيون يبدون مثله...

قالت كليوباترا بلهجة دلال:

«تعال يا قيصر العظيم واجلس معنا.. هذا الشاب المصري الوسيم أصلح جهاز التكييف..»

لم يبد سعيداً بهذا ونظر لي ولها ثم قال:

«ليس من المعتاد لدى الملكات أن يتبسطن مع العامة..»

«أنا لم أتبسط معه.. كنت أوجه له الشكر..»

نظر لي طويلاً ثم قال:

«أنت أنهيت مهمتك.. يمكنك الانصراف»

بالطبع لم يكن لي مكان أصلاً، دعك من هيبة الرجل وتأثيره الكاسح.. الرجل الذي يسيطر على روما قادر على أن يخرجني من الغرفة بالتأكيد..

هكذا نهضت وهززت رأسي وابتعدت..

هل تخيلت هذا أم إنني سمعتها بالفعل تتكلم معه في حدة قائلة:

«أنت لن تتحكم في للأبد!!»

عندما انغلق الباب؟.. لا أجسر على الاعتقاد أن الملكة كليوباترا تتشاجر من أجلي..

هكذا عدت إلى الكاونتر حيث (مصطفى) يتابع التلفزيون وقررت أن أنسى هذه الحادثة الصغيرة..

بعد ساعتين اتصلت بي الملكة كليوباترا تطلب مني أن اصعد إلى الغرفة ٢٠٧..

نظرت إلى مصطفى فوجدته غافياً.. اللوبي هاديء فيما عدا ثلاثة أو أربعة يتكلمون همساً.. كان الإغراء شديداً لكن....

«وماذا عن يوليوس قيصر؟»

«لقد انصرف.. إنه مشغول كما تعلم.. كل الغزاة كذلك»

متى انصرف وأنا لم أراه؟... على كل حال طلبت من شعبان عامل النظافة أن يعنى بالاستقبال بينما صعدت إلى الغرفة..

فتحت لي الباب جارية ذات طابع قوقازي.. كانت الملكة جالسة على عرشها وإن بدلت ثيابها.. بالطبع.. لا يمكن أن تظل الملكة بذات الثياب أكثر من ساعة.. دعك من طبيعتها النارية المتقلبة التي تخرج عصبيتها عن طريق كثرة تغيير المظهر..

عندما جلست قالت لي:

«لقد رحل.. الحقيقة أنه لم يكن مخطئاً جداً في غيرته.. هؤلاء الغزاة أذكيا وحساسون.. أنت تفهم بالطبع أن سبب تدليلي له هو أنها الطريقة الوحيدة التي أعرفها للدفاع عن مصر.. عندما صار هذا الرجل لي صارت روما كلها لمصر..»

الهزيمة بالحب.. أسلوب غريب للحرب لكن اقتران الحب بالحرب أمر عتيق في الوجدان البشري على كل حال...

قالت وهي تنظر لي بعينين قادرتين على إذابة الصخر:

«من حين لآخر أحب أن أنسى السياسة وأفكر في نفسي.. أختار من أريد لا من تريده ظروف الكر والفر.. أنت تفهم كلامي طبعاً؟»

«بصراحة.. لا..»

«وهذا عنصر جاذبيتك!... هذه اللمسة من السذاجة تعطيك سحراً لا شك فيه..»

ثم نظرت نظرة نارية إلى الجالسين حولها:

«أريد أن أكون وحدي!»

في ثوان خلت الغرفة ممن فيها.. ونظر لي النمر نظرة طويلة مهدنة كأنه يقول: أنت صرت السيد.. لا استطيع أن أؤذيك..

هذه كانت ليلة طويلة من ليالي الحلم.. حكى لي كليوباترا فيها كل شيء.. شربت الكثير من ذلك الرحيق في كؤوس الذهب.. غنت لنا الجواري من وراء ستار..

وعندما عدت إلى الاستقبال كنت أشعر كمن دخن طناً من الحشيش أو شرب نهرًا من الخمر.. رأسي لا وزن له وأنا أحلق.. أحلق..

في الصباح الباكر جاءت (سارة) لتقف أمامي وتنظر لي في ثبات.. ثم قالت:

«اسمع.. لا أحب التدخل في أمورك، لكن هناك أطرافاً من الكلام تتناثر هنا وهناك.. يوليوس قيصر ليس بالخصم الهين ولو عرف بما يحدث لنفسك نسفًا..»

«ما هذا الذي يحدث؟»

قالت ما معناه (استعبط يا خويا.. استعبط).. ثم قالت بتلك الطريقة التقريرية الباردة التي تجيدها الفتيات:

«هذا من شأنك.. لكن يوليوس قيصر يستطيع أن يؤذيك.. لا تنس النمط رقم ٤»

«ليس هذا عصر القوة بل هو عصر القانون..»

«من دون قوة.. لا تنس أنه إيطالي مثل الخواجة مايكل مدير الفندق.. وسوف تكون كلمته ضد كلمتك فمن يصدقه (مايكل)؟»

كلام معقول فعلاً.. لكنني كنت غارقاً في بحر الغرام لا أعني ما يحدث من حولي.. فقط لينته هذا اليوم بسرعة لأعود إلى الغرفة ٢٠٧ حيث كليوباترا..

عندما جاء المساء طلبت من مصطفى أن يعنى بالاستقبال، ثم اتجهت إلى الغرفة ٢٠٧.. بعد ليلة البارحة لم يعد من الضروري أن آتي مدعواً.. بوسعي أن أدعو نفسي..

لكنني بالفعل اخترت وقتاً غير مناسب..

لقد دقت الباب فانفتح.. هنا رأيت أن المكان أقرب إلى حفل صاخب...

عند العرش كانت كليوباترا تقف وتشوح بيدها في عصبية، بينما تقف أمامها امرأة بارعة الحس ناضجة قوية الشخصية.. لكنها تلبس بالضبط مثل.. مثل نساء العصر الفاطمي كما نراهن في تصميمات شادي عبد السلام يرحمه الله!

كليوباترا تصيح:

«هذا عرشي يا (شجرة الدر).. كفي عن هذا السخف..»

شجرة الدر بدورها تصيح:

«وأنا أقول إنه عرشي ولن أتركه لغانية يونانية لعوب..»

«أنا مصرية يا حبيبتي.. ولن استخدم لغتك في الكلام عن الزوجة المحترمة التي قتلت زوجها بالقباقيب..»

كانت مباراة حقيقية في الردح حتى إنني وقفت عاجزاً عن الكلام، فقط لأسمع محاوراة غريبة بعض الشيء تأتي من خلفي..

نظرت إلى الوراء لأجد يوليوس قيصر يقف مع جنرال نازي وجنرال بريطاني.. كانوا يثرثرون وهم يمسكون بكؤوس الشراب.. يقول النازي:

«كنتم معشر الإيطاليين سادة القتال، لكننا لا نعرف ما حل بكم.. لقد خيبتكم أمل الفوهرر في الحرب..»

يقول قيصر:

«لست مسؤولاً عن أحفادي وليس بينهم من يدافع عن نفسه هنا يا مارشال روميل.. لكن لا تنس أن البريطانيين كلفوك هزيمة ماحقة على هذه الأرض بالذات..»

يقول النازي الذي عرفت أن اسمه روميل:

«مشكلة الوقود.. في عصركم كانت الحروب مريحة لا تقتضي إلا بعض الحساء واللحم للجندي، أما حروبنا فتعتمد على إمداد لا ينقطع من البترول.. كلما تقدمنا للأمام طالت خطوط إمدادنا وسهل قطعها.. أليس كذلك يا مونتني؟»

قال البريطاني:

«بلى.. لقد فهمت ذلك مبكراً ولعبت عليه في العلمين..»

وارتفعت الأنخاب.. هنا التقت روميل نحوي وهتف:

«من هذا؟»

نظر لي قيصر واحمر وجهه وقال:

«هذا مصري يعمل في الفندق، وهو مصر على أن يلقي حتفه هذه الليلة بالذات..»

فجأة انقطع خيط المحادثة الخطرة إذ تعالت صيحات الحماس .. صفير .. تهليل ..
وسمعت من يقول:

«(سالومي) سوف ترقص!»

نظر الجميع إلى حيث جاء الصوت، فرأينا فتاة حسناء نخيلة تبرز للعيون وهي ترتدي ثوباً غريباً مكوناً من سبع قطع كل منها في مساحة منديل .. الطريف أنها تبدل أماكن القطع بلا توقف! .. ووقفت تتمايل أمام القوم ثم بدأت تدور في القاعة .. هناك صينية صغيرة مغطاة بمنشفة وضعت في مركز رقصها وقد راحت تدور حولها بلا انقطاع ...

وبحركة رشيقة مدت يدها تنزع الغطاء .. هنا رأيت الرأس المقطوعة النازفة تستقر في الصينية .. رأس (يوحنا المعمدان) .. هذا هو الثمن الذي دفعه لها (هيرود انتيباس) مقابل أن ترقص عارية ..

أشحت برأسي في اشمئزاز ورعب واتجهت إلى الباب ..

هنا سمعت كليوباترا تناديني ..

قالت لي في شيء من الرفق:

«معذرة .. أنت لم تخبرني بقدومك لهذا لم يكن الوقت مناسباً .. سوف يصل هانيبال بعد قليل ويتحول المكان إلى جحيم مع كل هؤلاء القرطاجيين وأقبايهم .. أقترح أن ترحل على أن أتصل بك عندما تهدأ الأمور ..»

هكذا هزئت رأسي وغادرت الغرفة شاعراً بالخرج ..

على الباب سمعت الصيحة الرومانية الشهيرة:

«جئت ورأيت وانتصرت ..»

يبدو أنها تنطبق على حالي إلى حد ما ...



في الصباح انتهيت من وريدتي وتأهبت للنوم فترة الصباح كعادتي ..

قابلت مصطفى عامل المصعد وهو يشرب قدحاً ثقيلاً من القهوة ويتحسس رأسه ..

عندما رأيته نظر لي بعينين حمراوين وقال:

«بيني وبينك.. لن أدخن هذا النوع مرة أخرى!»

نظرت له في عدم فهم فقال:

«هذا الحشيش.. يسبب الصداع ويسبب هلوسة غير طبيعية.. أنت رأيت الشيء ذاته..

أليس كذلك؟»

ثم أضاف في حكمة:

«الحشيش الجيد يجعل مزاجك يصفو وإحساسك بالدعابة أعلى لكنك لا تخرف أبدًا..

هؤلاء التجار غشاشون..»

وفي خجل أشار إلى حجر سرواله فأضابني الرعب. كانت هناك دائرة من البلب هناك..

لقد بال على نفسه من دون أن يشعر..

هنا بدأت أتذكر.. أتذكر وأفهم..

السجائر الملوثة بالزيت.. الأنفاس السريعة في حمام العاملين عند بداية النوبة..

مصطفى هو الذي أحضر هذا الشيء.. لقد جربناه ليلتين.. الليلتين اللتين زرت فيهما

كليوباترا..

لقد فهمت كل شيء.. فهمت.....

هنا جاء من يخبرني إن الخواجة مايكل يريدني..

اتجهت إلى مكتبه وأنا أشعر بأن رأسي ثقيلة جدًا.. لم لا يرجيء الكلام إلى ما بعد؟

قال لي الخواجة وهو يلتهم طعام الإفطار في مكتبه كعادته:

«اسمع.. أنا أثق بك واعتدت على أنك مهذب.. لكن هناك نزيلاً يشكو بشدة من

مضايقتك لامرأته..»

«أنا؟»

«نعم.. نزيل الغرفة ٢٠٧ يقول إنك تضايق زوجته الشابة وتتظرف وتقرع الباب عندما

لا يكون موجوداً..»

«هذا كلام فارغ.. إنتي...»

فوجئت بيده مرفوعة في وجهي لأصمت وقال:

«نعم.. نعم.. أعرف.. ليس هذا الكلام متوقعاً منك.. تقول المضيقات هنا إنه يغار على امرأته الشابة بشدة ويشك في الجميع.. إنه مسن وهي شابة في ريعان الصبا.. هذا مركب معتاد جداً..»

«النمط رقم ٤»

قلتها همساً فسألني عما أقول. قلت بصوت خافت إنه لا شيء.. قال:

«سأجرب أن أثق بك.. سوف افترض أنه مجنون.. لكن ليكن واضحاً إنني لن أنتظر شكوى أخرى منه.. ابتعد عنه ولا تشتبك معه في أي نوع من الخلاف أو الجدل. لو أنك نفخت دخان السيجارة في وجهه لقال إنك تتحرش بامرأته، وعندها سأصدقه.. هل فهمت؟»

كان هذا موقفاً كريماً نادراً لذا شكرته ووعدته..

قال وأنا اخرج من مكتبه:

«هؤلاء الغزاة.. لا يمكن فهمهم أبداً»

توقفت على الباب شاعراً بحيرة لا حد لها..

ما معنى هذا الكلام؟.. بالذات العبارة الأخيرة؟.. لقد عرفت كل شيء وعرفت من أين جاء قيصر ورومل وشجرة الدر ومونتجمري. جاءوا من أبخرة القنب الهندي فما دخل الغزاة بالموضوع؟

اعتقد أنني أخطأت السمع..

على أن ورديتي ليلاً بدأت بمفاجأة غريبة بعض الشيء..

لقد جاءت سارة الخبيثة لتقف مستندة على الكاونتر كعادتها وقالت لي:

«هيه؟.. ما أخبار العاشق؟.. هل ألقاك قيصر للتماسيح بعد؟»

نظرت لها في رعب فبادرت إلى الفرار كعادتها وهي تضحك في خبث..

أكره اللعبة التي تغير قواعدها طيلة الوقت.. أنا لم أدخن أي شيء ولم يدخل جوفي شيء.. أفترض أن هذه القصة انتهت.. لماذا يجددون ذات التعليقات والمزاح؟.. كنت في عالم الهلاوس وعدت منه فلماذا ظلوا هم فيه؟

هكذا غادرت الكاونتر واتجهت إلى الغرفة ٢٠٧ وقرعت الباب عدة مرات..

بالطبع لا أحد..

هكذا تأهبت للانصراف.. لكن الباب انفتح..

دخلت في حذر لأفاجأ بالجارية القوقازية تهش في وجهي!.. وسمعت زئير النمر وسمعت العزف على الهارب!..

كليوباترا جالسة على عرشها.. إنها حق لا شك فيه.. لم يكن للحشيش ذنب.. الأثر المخدر لا يمتد ثلاثة أيام..

إنها كليوباترا فعلاً.. ترحب بي فعلاً.. يقدم لي الشراب فعلاً..

ثم تقول لي في مرح:

«قيصر ليس هنا.. أرجو ألا تكون تضايقت مما حدث أمس..»

نظرت لها في ذهول وهمست:

«هل تريدني قول إنني أرى ما أراه فعلاً؟»

«بالتأكيد.. من قال العكس؟.. لا تنس أنك في الغرفة ٢٠٧ حيث لا يوجد واقع ولا

خيال... هناك شيء واحد.. سمه الواقيل.. سمه الخياقع.. المهم أنه موجود»

ثم مدت أناملها لتمسك بطرف ذقني كأنها ثمرة كمثرى وابتسمت..

هنا سمعت الباب ينفتح بقوة ومنه دخل يوليوس قيصر حاملاً خوذته..

«الآن أنا متأكد مما أعتقد...»

مد القواد الرومان أياديهم إلى السيوف، لكنه أوقفهم بإشارة من يده وقال لي:

«هذه المرة الأمر بيتي وبينك.. سيفك أيها المستشار (كلاوديوس)»

أخرج المستشار المذكور سيفه من الغمد وناول له لقائده، فناوله هذا لي وقال:

«مبارزة حتى الموت.. من أجل ملكة الملكات..»

«لكنني لا أعرف كيف...»

«إما أن تموت كرجل أو تموت ككلب.. اختر!»

هكذا حملت السيف الثقيل ووقفنا متباعدين.. ثم انقض علي بسيفه.

من الغريب أن الأمر لم يكن بهذه الصعوبة.. كنت أبارز كأني أعرف هذا طيلة حياتي.. هويت على عنقه لكنه تحاشاها بسيفه.. هوت ضربتي على عنق واحدة من الجواري البائسات فسقطت تنزف.. قال وهو يطوح بسيفه:

«بارع أنت في قتل النساء الضعيفات»

تحاشيت ضربته وأغمدت سيفي فأنغرس في حشية من حواشي الغرفة.. ثم عدت اطعنه وأتقي طعناته.. صراع طويل مضم.. العرق يغمرني.. تمزق قميصي من طعناته لكنه لم يمس جسمي..

تراجع للخلف فداس على قدم النمر المتربص.. عوى هذا في ألم وأنشب مخالبه وأنيابه في ساق قيصر.. كانت هذه فرصتي كي انتهز الفرصة وهويت بسيفي على منبت عنقه.. رباه!.. لقد كانت مجزرة!.. الدم الذي تناثر وغطى كل شيء..

وهتف المستشار (كلاوديوس) في رجاله:

«لقد قتل القيصر!.. اقتلوه»

انقض على القادة الرومان بسيوفهم وعرفت أنني ضائع.. هكذا رحت أضرب بسيفي يميناً ويساراً... أضرب في جنون.. أضرب كالعميان..

أضرب.. أضرب.. الأرض تذوب من تحت قدمي.. الظلام يزداد كثافة.. أنا أقرب إلى العمى..

أضرب.. أضرب..

وفي النهاية سقطت..

سقطت لكن يداً كانت تحاول أن تعيدني لعالم الأحياء..

«انهض يا جمال.. بسم الله الرحمن الرحيم..»

فتحت عيني فوجدت مصطفى يركع على الأرض جوارى.. إنها الحجرة ٢٠٧.. لكن اين ذهب الجميع؟

قال لي وهو يصب شيئاً بين شفتي:

«ما الذي دهاك؟.. أنظر لما حدث في الغرفة؟»

نظرت حولي فوجدت الفراش مبعثراً.. الوسائد ممزقة ومتناثرة.. الكومود مقلوب..
الجدار تهشم في أكثر من موضع.. الأسلاك منزوعة من الجدار.. قميصي ممزق..

قلت في حيرة:

«أين؟.. أين الجميع؟»

«لا يوجد أحد.. أنت تعرف أن الغرفة خالية منذ أمس.. كان فيها رجل وزوجته وقد
رحلا..»

أنا فعلت هذا كله؟.. كنت أقاتل الفراش والوسائد والأسلاك؟

لو كان هذا صحيحاً فلماذا كلمني الخواجة وما معنى الذي قالته سارة؟..

قل ما تشاء لكنني أعرف أن كليوباترا وقيصر كانا هنا.. كان روميل هنا، ومونتجمري
كان هنا.. ربما كان هانيبال هنا كذلك..

أعرف أنني قتلت يوليوس قيصر وقتلني قواده.. أعرف أن كليوباترا أحببني.. أعرف
أنهما انتميا للنمط رقم ٤..

وقبل كل شيء أعرف أن الغرفة ٢٠٧ تراقب هذا كله، وتكتم ضحكات الخبيثة!

اللقاء

العام ١٩٩٢.. اليوم الثاني عشر من يوليو..

في الثامنة مساءً، جاء اللواء المتقاعد (مختار) وطلب غرفة.. كان طلبه المحدد أن تكون هي الغرفة ٢٠٧..

والآن دعني أقرب لك صورة الرجل الذي دخل الفندق في هذا الوقت.. كان فارح القامة رياضي الجسد... أنت تعرف العسكريين على الفور من قاماتهم الرياضية.. هذا رجل لم يقض شبابه ساهراً يدخن، دعك من نظرة الحزم الأمر في العين.. كان شعره مزيجاً من الصلع والشيب، وله شارب عسكري لا تخطئه العين.. يلبس قميصاً صيفياً واسعاً يخرج من سراويله، لكنك تستطيع أن تدرك كم أن صدره عريض يوشك على تمزيق الأزرار.. هناك عكاز يتوكأ عليه فلا بد أنه شارك في حرب ما من حروبنا العديدة.. ٥٦ أو ٦٧ أو ٧٣.. سنه تسمح بأية حرب منها..

نظرت له في عمق وقلت:

«هناك غرف أفضل من هذه يا سيدي.. هناك أكثر من حجز تم إلغاؤه..»

قال بلهجته العسكرية القاطعة:

«الغرفة ٢٠٧ يا بني..»

هكذا لم أجد مناصاً من أن آخذ بياناته.. كان عسكرياً متقاعداً بالفعل..

صعد إلى الغرفة فقلت لمصطفى عامل المصعد الذي جاء يقترض مني لفافة تبغ:

«هذه قصة جديدة على ما أظن..»

قال وهو يبذل اللفافة بطرف لسانه كعادته:

«لماذا لا ينسفون تلك الحجرة ويريحوننا؟..»

ليت هذا ممكن.. لكنه مستحيل بالطبع.. فقط لو كنت صاحب الفندق لقمت بسد بابها بعد ما أكون ملأتها بالخرسانة.. هكذا تنتفي هذه الغرفة للأبد..

رحت أعمل وأتلقى المكالمات وأدون في دفترتي وأضحك تلك الضحكة المفتعلة، بينما جاءت مساعدتي الجديدة (باسنت) وهي فتاة شابة سوف ترحل سريعاً على كل حال.. إنها حسناء ومن الطراز سريع الزواج.. هذا النمط من الفتيات كدودة القز.. عملها مجرد فترة انتقالية سريعة قبل أن تنسج شرنقة الزواج حول نفسها وتصير ست بيت.. أعرف هذا النمط لأنني قابلته ألف مرة من قبل..

رأيتها واقفة تتكلم مع رجل أجنبي متقدم في العمر، وكانت تهز يدها في إلحاح مصررة على كلامها..

هناك مشكلة لذا دنوت منها لأسمع.. إنها عديمة الخبرة بطبيعة الحال..

كان الرجل بريطانيًا كما هو واضح من لهجته.. بالطبع نحن نحب الإنجليزية أو على الأقل نفهمها، ونستطيع أن نوصل ما نريد بها على طريقة تجار خان الخليلي، لذا سألته عن المشكلة..

قال لي:

«هذه الأنسة تصر على أن الغرفة ٢٠٧ محجوزة.. هذا مستحيل..»

قلت له باسمًا:

«لا أرى ما يمنع من ذلك.. نحن فندق محترم يثق فيه النزلاء، وعلى كل حال قد تم حجز الغرفة منذ نصف ساعة.. عندي لك غرف أفضل بكثير و....»

قال في حزم:

«لكن هذه هي الغرفة التي أريدها..»

ما موضوع هذه الغرفة؟.. لم هذا الحماس العنيف؟..

«ليست الغرفة ٢٠٧ أفضل غرفة تطل على البحر.. إن الغرفة ٢١٩ مثلاً.....»

قال وهو يتحسس شاربه:

«الموضوع أنني أقمت فيها منذ أعوام وكانت ممتازة.. هل يوجد أمل في أن يتركها نزيلها عما قريب؟.. ربما يقبل تسوية ما»

«لا أعتقد.. قلت لك يا سيدي إنه حجزها منذ نصف ساعة.. لقد أفرغ حقائبه وبدل ثيابه.. من المستحيل أن تقنعه بغير هذا، دعك من أنه طلبها بالاسم»

استند على الكاونتر وأخرج غليوناً وراح يحشوه ساهم النظرات متضايقاً.. ثم قال لي وهو يطلق سحابة كثيفة من الدخان قوي الرائحة:

«لم لا تجرب أن تطلبه وتسأله؟»

«لا أعتقد.. إنه...»

«جرب من فضلك..»

هكذا رفعت السماعة شاعراً بحرج شديد.. هذا موقف سخيف لكنه على الأقل يخلصني من إلحاح هذا المزعج..

«آلو.. هنا الاستقبال.. كنت أسألك يا سيدي عما إذا كانت الغرفة مريحة؟»

طبعاً كان الرقم الذي طلبته هو رقم المغسلة، وقد جاءني صوت (الششماوي) الغليظ يسألني:

«هل جننت يا جمال؟»

لم أبال وعدت أسأله:

«هل ترغب في تغييرها؟ بصراحة هنا نزيل يريد غرفتك وقد خطر لي أن عندنا ما هو أفضل..»

«لا بد أن برجاً من عقلك طار.. غرفة إيه وزفت إيه؟»

«آه.. إذن هذا مستحيل.. آسف جداً يا سيدي..»

ووضعت السماعة ونظرت باسمّاً إلى النزيل الجديد.. كنت أتوقع أنه يفهم الكثير من العربية ويتظاهر بالعكس كعادة الأجانب في مصر، لذا عرفت أنه تابع المكالمات جيداً..

بالفعل لم يسألني عن محتوى المكالمات.. فقط قال لي في استسلام:

«إذن اختر لي غرفة مناسبة وقريبة منها..»

وهي الغرفة ٢١٩ كما قلت لك. هكذا أنهيت الإجراءات وسرعان ما كان (مصطفى) يقوده إلى المصعد في احترام..

سألتنني (باسنت) في غير اكتراث:

«ماذا في تلك الغرفة ٢٠٧؟.. هل هي رائعة كما فهمت؟»

«إنها الروعة مجسدة!... قد تعيشين عمرك في عالم الفندق ولا ترين ما يماثلها جمالاً..»

وانهمكت في بعض الأعمال.. سوف تنصرف هي بعد قليل وأظل ساهراً وحدي أتسلى مع (مصطفى)..

هنا رأيت ذلك الرجل فارغ القامة يتقدم.. كان أشيب الشعر، في ملامحه وقار غريب.. تقدم من الكاونتر وهز رأسه محيياً.. له عينان زرقاوان من الطراز الثلجي البارد الذي يجمد روحك إياه.. لو كان هذا ضابطاً فهو بارع جداً في استجواب المتهمين.. لو كان طبيباً فلا مرض يخفى عليه.. لو كان...

«أريد أن أحجز الغرفة ٢٠٧!»

قالها بعربية مهشمة.. إنه أجنبي إذن كما هو واضح..

«آسف يا سيدي.. إنها محجوزة منذ ساعتين..»

«لا شيء غير قابل للتغيير.. الغرفة ٢٠٧ تناسبني أكثر من سواها.. ربما لو دفعت مبلغاً إضافياً..»

«تدفعه لنا أم لنزيل الغرفة؟.. للأسف كلا الحلين غير مجد..»

«هل عندك غرفة أخرى تماثلها؟»

«ربما الغرفة.. الغرفة».. وراجعت الأوراق.. «الغرفة رقم ٢٠٣.. تجاورها تماماً...»

هكذا أخرج أوراقه.. كان اسمه (كارل باير).. ألماني.. يبدو أنه جاء إلى مصر منذ ثلاثة أيام حسب جواز سفره..

فرغت من الإجراءات وأنا غارق في الحيرة.. لم تكن الغرفة ٢٠٧ مغرية قط، ولم يذع عنها أنها تحوي كنزاً.. فقط هي تطل على البحر مثل عشرات الغرف في فندقنا.. فما سر هذا الحماس الغريب؟.. الإجابة طبعاً أنها الغرفة ٢٠٧.. هناك سر مخيف يفسر هذا الحماس..

كانت الليلة في بدايتها بالنسبة لي، وكان علي أن أنسى هذا الموضوع كي أواصل عملي خاصة بعد انصراف (باسنت)...

لكنني عندما ظهر النزيل الرابع الذي يطلب الغرفة ٢٠٧، بدأت أشعر بقلق جهنمي.. هذه الليلة لن تمر على خير.. أعرف هذا يقيناً وأؤمن به..

ما سر الجاذبية المفاجئة التي اكتسبتها هذه الغرفة؟

الضيف التالي كان غربياً بدوره كما هو واضح.. كان له شارب كث بني اللون مضحك، وقد نظر لي في ثبات ثم تكلم بلكنة إنجليزية غريبة أراهن على أنها أسكتلندية لو كان ما أعرفه من السينما دقيقاً.. قال لي:

«الغرفة ٢٠٧ من فضلك..»

لقد صار الأمر مملاً.. هكذا مررت بالمراحل التقليدية من النكران والاعتذار والإغراء بغرفة أخرى، ثم مر هو بالقبول الحذر فالاستسلام.. هكذا صار مكانه هو الغرفة ٢١١..

اسمه (جيمس ماكديمروت).. لو لم تكن هذه الـ (ماك) تعني أنه اسكتلندي فأنا جاهل..

بعد ربع ساعة جاء الضيف التالي وهو ألماني قصير القامة مكتنز يدعى (دانييل ماير).. طبعاً يريد الغرفة ٢٠٧.. لم يعد هذا يثير دهشتي..

الغرفة غير موجودة يا سيدي.. لدينا الغرفة رقم.. رقم.. لقد صار الأمر صعباً.. لم يعد لدينا سوى الغرفة ٣١٢ في الطابق الثالث.. أنا آسف..

قبل على مضض وصعد...

أخيراً هدأت الأمور وكان النعاس يغلبني.. جلست خلف الكاونتر وأرحت رأسي على ذراعي.. أعتقد أنني رحت في سنة طويلة حلمت فيها بكل شيء تقريباً..

دق جرس الهاتف فرفعت السماعة..

كان هذا هو نزيل غرفة في الطابق الثاني يقول لي مغضباً:

«هناك مجموعة من الخواجات السكارى في هذا الطابق، وهم لا يكفون عن الغناء.. لا بد أن تفعلوا شيئاً ما..»

هكذا وضعت السماعة وطلبت رجل الأمن.. أعتقد أنه كان (سالم) في هذا الوقت.. (سالم) شاب من البدو له كل ملامحهم ببشرته السمراء وشاربه ولهجته.. قليلون هم البدو الذين يعملون في فندقنا على كل حال.. قلت له:

«هناك برج بابل في الطابق الثاني.. هل تعرف كيف تتفاهم معهم؟»

قال عبارة نجيب الريحاني الشهيرة:

«أكل العيش يعلمك كيف تتفاهم مع البراغيث»

وركب سالم المصعد إلى أعلى..

فيما بعد حكى لي أنه سمع هذه الضوضاء.. فعلاً غناء عال كأنه غناء سكارى خارجين من حانة.. بحث عن مصدر الضجة فخمن أنها قادمة من الغرفة ٢٠٧.. دق الباب مراراً حتى فتح رجل غاضب أشيب الشعر قال له إن الضوضاء ليست من هنا، وإنه سيشتكوه للإدارة في الصباح..

«قال لي (جيت ذا هل أوت أوف هير)»

.. «ماذا؟.. كلمك بالإنجليزية؟»

«نعم.. إنه خوافة يا أخي.. خوافة قليل الأدب.. ماذا في ذلك؟»

هنا فتحت الدفتر وراجعت الأسماء. الغرفة ٢٠٧ يقيم فيها ذلك الرجل العسكري المصري.. (مختار).. هل تبادلو الأماكن إذن؟.. هل اقتنع؟

طلبت الغرفة عدة مرات فلم يرد أحد..

بعد ربع ساعة اتصل بي النزيل من جديد يشكو من مزيد من الضوضاء.. هكذا قررت أن أصعد بنفسني لأتحقق من الأمر..

ما إن وضعت قدمي على أرض الطابق الثاني حتى سمعت الضجة.. إنهم يتشاجرون في مكان ما.. مشيت أتتصت على الأبواب، فلم أسمع شيئاً إلا من ناحية الغرفة اللعينة ٢٠٧..

وقفت خلف الباب بضع ثوان.. انفتح باب غرفة مجاورة وظهر نزيل بادي الغضب يلبس فائلة داخلية وسروال منامة، وقد أدركت على الفور أنه ذلك الرجل العاجز عن النوم..

من الداخل اسمع كلمات حادة صاخبة.. هناك من يحتج.. من يصرخ، لكن الكلام بلغة غير مفهومة.. ربما الألمانية؟

قرعت الباب مرتين.. هنا انفتح في حذر وبرز الضابط المصري المتقاعد.. الرجل الصحيح في المكان الصحيح إذن..

قلت في تأدب:

«هناك ضوضاء من غرفتك يا سيدي. هل أنت بخير؟»

نظر لي في صرامة وقال بطريقته العسكرية:

«لن أظل بخير يا بني إن ظل أحدكم يوقظني كلما حاولت النوم...»

«هل التلفزيون مفتوح؟»

«أنا لا أشاهد التلفزيون يا بني.. أبداً!»

وأغلق الباب.. تبادلت نظرة حيرى مع النزيل العاجز عن النوم ثم مشيت إلى الغرفة ٢٠٣ فقرعت بابها.. لا رد... مشيت نحو الغرفة ٢١١.. قرعت الباب.. لا رد... الغرفة ٢١٩..

الأمر واضح.. لا أحد من هؤلاء السادة في غرفته..

إنهم في الغرفة ٢٠٧ وصاحبها ينكر ذلك.. أنا متأكد..

قال لي النزيل:

«والعمل؟.. لم لا تطلبون الشرطة؟»

لم أرد.. فقط اتجهت إلى الشرفة التي تمر بكل الغرف.. قلت له:

«سأحاول عمل شيء لكن أرجو أن تدخل غرفتك وتنسى كل شيء، لأن ما سأقوم به قد يكلفني وظيفتي.»

يعرف القاريء أن الشرفة طويلة تحتل جانب الفندق بالكامل.. أقرب إلى الممر الذي يصل بين الغرف كلها.. فقط هناك فاصل من الطوب بين نطاق كل غرفة وجارتها، فوقه شبكة خشبية ترتفع متراً عن الأرض.. هناك مدخل للشرفة في البهو.. تدخل فتجد ذلك العاجز الوهمي عن يمينك وعن يسارك.. والبحر أمامك..

دخلت الشرفة.. رفعت قدمي لأتسلق ذلك العاجز وهنا صرت داخل شرفة الغرفة ٢٠٧.. هذه طريقة أتبعها كثيراً ليس لأنني فضولي بصاص لا سمح الله، ولكن لأن مشاكل الغرفة كثيرة جداً..

كان باب الشرفة موارباً لكن بوسعي أن أرى ما بالداخل..

الإضاءة خافتة هائلة، لكنني أرى رجلاً يقف في وسط الغرفة ويتكلم بحماس.. أعتقد أنه ذلك الألماني.. بينما يلتف حوله الآخرون جالسين على الأرض.. يبدو كأنه يمثل مشهداً في مسرحية ما.. يتلوى.. يمسك ب صدره.. يسقط على الأرض..

ثم ينهض ويواصل الكلام..

ما هذا؟.. هل هو ناد للتمثيل؟

ثم رأيت مشهداً مروّعاً.. إن أحد هؤلاء الرجال يتجه إلى الفراش حيث استقرت حقيبة مفتوحة.. أخرج أشياء معدنية وراح يثبتها معاً.. بعد لحظة وجدت في يده بندقية آلية!

إرهابيون أو سفاحون تسللوا للفندق ونجحوا بهذه الطريقة في إدخال أسلحة..!

هل يفكرون في سطو مسلح؟.. لم أسمع قط أن فندقنا يشتهر بالثراء لهذا الحد.. ربما سيخذونه نقطة ارتكاز لعملية في الخارج، لكن ما هو الهدف الثمين بهذا الشكل في مرسى مطروح؟

رأيت أحد هؤلاء يجري وسط الغرفة ثم يرتمي أرضاً ويقذف بشيء.. لا أعرف ما قذفه لكن هناك من انبطح أرضاً ليتفاداه..

مجانين.. هذا هو التفسير الوحيد..

هناك خمسة رجال في هذه الغرفة من جنسيات مختلفة، وكل شيء يؤكد أنهم مخابيل.. فماذا علي أن أفعل؟

في هذه اللحظة رفعت عيني لأجد ذلك الألماني الأشيب ينظر لي عبر باب الشرفة الموارب.. لقد رأيته..!

ارتفعت يده تشير لي وقد اتخذت سبافته شكل المسدس.. وبصوت مجنون حازم صاح:

«هالت!!!»

وثبت فوق حاجز الشرفة في حذر..

لو لم أحترس لكنت قد سقطت من أعلى، وهذا لن يقتلني لكنه على الأرجح سيؤدي لكسر ساقي إلى شطرين..

سرعان ما كنت أخرج من الشرفة في ذات اللحظة التي انفتح فيها باب الغرفة ٢٠٧ .. جريت إلى الدرج لأنه لا وقت لاستدعاء المصعد، ورحت أثب درجات السلم .. سمعت صوت خطوات من خلفي ومن يصيح، لكنني قدرت أنهم غالباً متقدمون في السن فلن يستطيعوا اللحاق بي ..

جريت إلى الكاونتر فأيقظت مصطفى النائم كالعادة، ثم رفعت سماعة الهاتف وطلبت شرطة النجدة .. هناك مجرمون في الفندق وهم حسنو التسليح ..

لكن لماذا لم يلحق بي أحد؟

في هذه اللحظة بدأت فوضى عارمة .. لقد دوى صوت طلقات من الطابق الثاني .. ثم صوت رشاش سريع .. بعدها صوت قنبلة تنفجر!

سرعان ما تحول الاستقبال واللوبي إلى مستشفى مجانيين .. نزلاء من كل شكل ولون وجنس يقفون هناك بثياب النوم وهم مذعورون .. ماذا يحدث؟ .. أطلبوا الشرطة!

فكنت أرد في حزم:

«إنهم في الطريق! .. فقط أرجو أن تخرجوا من الفندق في هدوء وبلا تدافع .. كل شيء على ما يرام»

صاحت امرأة عصبية:

«أي شيء على ما يرام؟ .. هذه طلقات بندقية آلية!»

الطلقات مستمرة .. هناك معركة حقيقية في الطابق الثاني .. ماذا يحدث بالضبط؟ .. هل اختلفوا؟ .. هل جنوا؟ ..

صرخات نساء .. أطفال .. رجال .. خروج غير منتظم إلى الشارع ..

هنيئاً للإدارة بهذه الفوضى! .. سوف يسعدون حقاً حينما يعرفون بما حدث .. في العام ١٩٩٢ لم تكن موجة الإرهاب التي عرفتتها مصر في منتصف التسعينات قد بدأت .. وإلا لحسبوا هؤلاء إرهابيين، لكن الوضع كان غريباً وغير مسبوق .. لا أحد يملك أي تفسير ..

سريفة عربات الشرطة .. رجال الشرطة يندفعون إلى الداخل وهم يحملون أسلحتهم .. ضابط شاب عصبي يصرخ في رجاله .. بما أن الوضع غير مسبوق فإن الارتباك هو سيد الموقف ولا توجد خطة على الإطلاق .. عسى ألا يسقط أبرياء كثيرون ..

توارى الجنود في الطابق الثاني وساد صمت رهيب..

بعد دقائق رأيناهم ينزلون وقد بدا عليهم الهدوء.. كانوا يحملون أسلحة ملفوفة في أكياس..

قال لي الضابط العصبي وهو يمسك بكيس من البلاستيك لفه حول بندقية آلية:

«لا أحد في الطابق الثاني..»

صحت في ذهول:

«والغرفة ٢٠٧؟»

«الغرفة ٢٠٧ خالية وبابها مفتوح.. كذلك أكثر غرف الطابق.. أنت متأكد من أن أحدا لم ينزل مع النزلاء المذعورين؟..»

«لقد كانت الطلقات مستمرة بينما النزلاء هنا..»

وضع البندقية على الكاونتر وراح يتفحصها في حذر.. مددت يدي فأوقفها على الفور وهتف:

«البصمات!»

ثم أعاد فحص البندقية وغمغم:

«هذه البندقية عتيقة جداً.. لا أصدق أن طلقة واحدة يمكن أن تخرج منها.. هذه تشبه أسلحة الحرب العالمية الثانية..»

حرب عالمية ثانية؟

صعدت إلى الطابق الثاني حيث انتشر جنود الشرطة.. رائحة البارود تعبق الجو.. دخان متجمد فيه.. لكن لا يوجد أثر لأي شيء آخر.. لا ترى أثراً واحداً لطلقة على جدار أو خدشاً..

دخلت الغرفة ٢٠٧ التي كانت مفتوحة.. في الداخل كانت هناك فوضى كاملة.. هناك قنبلة يدوية على الفراش.. قنبلة لا يبدو أن بوسعها أن تنفجر أبداً.. هناك جريدة مطوية تظهر الربع السفلي الأيمن من صفحتها الأولى فقط..

دنوت من الجريدة فهتف بي جندي:

«لا تمس شيئاً يا أستاذ حتى تصل النيابة ورجال المعمل..»

رفعت يدي بمعنى أنني لن أفعل.. واقتربت من الجريدة لأقرأ المكتوب.. عنوان صغير يدل على أنه خبر تافه يقول: «اليوم ١ يوليو.. خمسون عاماً على حرب العلمين الأولى».. حرب العلمين الأولى التي وقعت بين قوات المحور والحلفاء، وكاد النازيون وقتها يصلون إلى الإسكندرية لولا أن تم دحرهم.. هذه الحرب استغرقت الفترة من ١ إلى ٢٧ يوليو عام ١٩٤٢!

اليوم نحن قد صرنا في الثالث عشر من يوليو.. ذروة الحرب منذ خمسين عاماً.. بريطانيون.. ألمان.. ضابط مصري.. لماذا يصرون على اللقاء في الغرفة ٢٠٧.. من جاء أولاً ظفر بالغرفة، لكنهم برغم هذا احتشدوا فيها.. أسلحة عتيقة تعود للحرب العالمية الثانية.. اختفوا فجأة.. فأين اختفوا؟ ثمة إجابة لكني لا أجرؤ على التقوه بها...

في اليوم التالي وبعد انتهاء هذا الضجيج، قال لي (سالم) إن الأخبار تنتقل بسرعة هنا.. ابن عمه إذ استقل سيارته البيك أب، رأى في الصحراء خمسة رجال مسنين يمشون بصعوبة فوق الرمال.. في ضوء الفجر حيث تختلط الألوان ويختلط معنى النور بالظلام، كان المشهد غريباً وغير معتاد.. قال إنه حاول أن يوصلهم إلى وجهتهم، ولاحظ أن بينهم مصرياً واحداً بينما كان الباقيون أجانب.. رفضوا أن يركبوا معه.. قال إنهم مشوا في الصحراء.. غالباً كانوا متجهين نحو.. نحو المقابر..

لماذا لا أشعر بدهشة؟.. ولماذا لم يباغتني الخبر؟

جلست مع (سالم) وتكلمنا طويلاً وشربنا الكثير من أكواب الشاي.. حكيت له عن الجنود البريطانيين والألمان الذين لاقوا حتفهم في ليلة الثالث عشر من يوليو عام ١٩٤٢.. لا بد أن ضابطاً مصرياً كان معهم.. إما أنه كان مع البريطانيين أو مع الألمان الذين يأمل في أن يهزموا البريطانيين.. لقد لاقوا حتفهم جميعاً في تلك الليلة لكن بعد ما اقساموا أن يلتقوا بعد خمسين عاماً ليتذكروا ليلة مصرعهم، وليكملوا المعركة.. بالطبع لو بحثوا في مصر كلها عن مكان خارج حدود الواقع.. مكان يقف بين عالمي الحياة والموت.. بين عالمي المادة والكوابيس، لما وجدوا أنسب من الغرفة ٢٠٧.. لكن للغرفة ٢٠٧ مزية أخرى مهمة هي إنها قريبة جداً من مسرح المعركة..

معركة (علمين) رمزية دارت بين الحلفاء والمحور في الغرفة ٢٠٧ .. طقوس حماسية ..
أغان وطنية يقولها كل بلغته .. ثم يبدأ القتال ...

لا أعرف من انتصرو ولا من هزم .. فقط أعرف أن الليلة انتهت وانهم عادوا من حيث
جاءوا ..

قال لي (سالم) إنني بدأت أخرف وإن السهر قد أحدث خللاً في عقلي .. قلت له إنني لا
استبعد هذا الاحتمال ..

فقط أخشى أن يكون هناك آخرون قد أقسموا ذلك القسم في ليال أخرى .. معنى هذا
أنني سأظل قلقاً حتى ينتهي اليوم السابع والعشرون من يوليو .. بعدها سوف أنسى هذه
القصة وأنتظر الكابوس الجديد الذي تهديه لي الغرفة رقم ٢٠٧ .

تجربة ليلية

أنا (جمال الصواف)... الذي قضى عمره خلف الكاونتر في هذا الفندق... استطعت أن أحتفظ بصحتي قدر الإمكان، فلا أعاني ارتفاع ضغط الدم ولا السكر، لكنني إذ قبضت أناملي على أجهزتي الحيوية كي لا تضيق، أفلتت عيني لتزلق على الأرض.. هكذا لم أعد أبصر تقريباً.. أنتم تعرفون هذا، وتعرفون تاريخ هذا الفندق، كما تعرفون حتماً تاريخ الغرفة ٢٠٧.. لن أقول إنكم تعرفون سرها لأنه لا أحد يعرفه..

لا أزمع أن أحداً لم يبال بهذه الغرفة سوى وعم (مينا) ومصطفى. في العام ١٩٦٦ ظهر الأستاذ (عبد الظاهر خليفة).. كان في الأربعين من عمره أقرب إلى البدانة، وله شعر أبيض بالكامل بلا خصلة شعر سوداء واحدة. انطباعي عن هؤلاء القوم الذين تخلو رؤوسهم من الشعر الأسود في سن لا تبرر هذا أنهم أميل للقسوة. كان يرتدي بذلة كاملة ويلبس نظارة سمكة ذات إطار أسود. ربطة العنق الرفيعة.. الخ.. باختصار كان نموذجاً لمثقف الستينات أو الرجل المحترم في ذلك الوقت، عندما كان الموظف في قمة السلم الاجتماعي قبل أن ينقلب السلم فيصير الحرفي في أعلاه.

(عبد الظاهر) لم يكن موظفاً.. كان صحفياً.. وقد سمع عن هذه الغرفة من أحد نزلائها السابقين.. يبدو أن خزانة الثياب كانت تنفتح ليلاً كلما أغلقها النزيل.. أنت تتوقع أن هذه صدفة مرة ومرتين.. لكنك في المرة الثالثة تجمع حاجياتك وتفر من الفندق..

(عبد الظاهر) قابل اثنين أو ثلاثة حكا له عن مغامرات مماثلة في تلك الغرفة، وقد تحمس الرجل. كان محرراً مهماً في مجلة اسمها (العدسة)، وهي مجلة مليئة بأخبار من عينة (أسباب الطلاق بين الفنانة فتكات والمطرب سيد حليوه)، (اللاعب زكي فنطازية يعلن نية التقاعد قريباً)، (كيف تتعاملين بالأتيكيت عندما يأتي لك ضيوف).. لو أضفنا لهذه العناوين عنواناً يقول: (الغرفة ٢٠٧.. هل هي مسكونة؟). لو أضفنا هذا العنوان لما أحدث فرقاً كبيراً.

هكذا جاء (عبد الظاهر) إلى فندقنا وطلب أن يحجز بضعة أيام على حساب المجلة طبعاً، ثم كان صريحاً منذ البداية.. لقد مال على الكاونتر وسألني عن الغرفة ٢٠٧:

«هل تعتقد أنها مسكونة فعلاً؟»

قلت ببرود وبلهجة شبيهة بإنسان آلي يتكلم:

«ما عفريت إلا بني آدم»

أشعل لفافة تبغ وقدم لي واحدة، ثم عاد يسأل:

«هل تحدث فيها أشياء كثيرة؟»

«لا يحدث شيء.. نزلاء يقيمون فيها ويرحلون»

«وخزانة الثياب التي تنفتح؟.. وشعور النزول بأن هناك يدًا باردة تتحسس في الظلام؟.. وصنبور الماء الذي ينفتح تلقائياً؟.. والوجه الشاحب الذي يطل من الشرفة ليلاً؟»

«لا يحدث شيء.. نزلاء يقيمون فيها ويرحلون»

ونفثت الدخان في وجهه ليعرف أنني لا أعتبر لفافة التبغ تلك رشوة..

كان علي أن أخرس.. يكفي أن أفتح فمي لينتزع مني أي شيء يضعه في مجلته. سوف تظهر صورتني مع اسمي (جمال الصواف)، والتعليق يقول: «موظف استقبال الفندق يؤكد أن هناك ثلاثة من الجان يسيطرون على الغرفة». والنتيجة هي أن المجلة سوف تقع في يد الخواجة، وسوف يناديني ليفرغ في كل الغضب الذي اختزنه منذ أعوام. أنت غير أمين على السر.. أنت لا تحافظ على سمعة الفندق.. أنت أقسمت بأن تصمت، لكنك فقدت القدرة أمام إغراء الإعلام.. أنت مفصول!

هكذا سوف يعود الصحفي لمجلته سعيداً، ويأخذ قرشين، بينما أنا أعود إلى دمنهور حيث لم تعد لي حياة أصلاً.. ربما أقول (أجلس جوار أمي) لكن لم تعد لي أم ولا أب ولا زوجة.. لا.. من الأسهل أن أظل صامتاً وأبدو غيباً..

قال لي (عبد الظاهر):

«أنت كتوم فعلاً..»

قلت له في برود:

«اسمع يا سيدي.. أنا لا أعطي إجابات.. هذا ليس عملي.. أنا أعطي النزلاء غرفاً شاغرة.. لو أردت أي شيء فعليك أن تقابل المدير..»

قال وهو يدفن لفافة التبغ في المطفأة:

«بالتأكيد سأفعل.. هل يمكنكني أن آخذ هذه الغرفة إذن؟.. يقولون إن موقعها جميل وهواءها عليل»

هنا لا أستطيع أن أتدخل.. من حقه أن يأخذ أية غرفة شاغرة ما دام لن يوجه أسئلة. هكذا أعطيته مفتاح الغرفة وتمنيت له إقامة سعيدة..

هكذا مضت الحياة هابئة، إلى أن جاء بعد يوم وكان معه ثلاثة من أصدقائه.. ثلاثة كلهم لهم ذات المظهر المميز.. فقط أحدهم كان يحمل كاميرا ذات فلاش.. صحفيون من دون شك..

قال لي:

«يجب أن نقابل المدير هذه المرة..»

هزئت رأسي أن بوسعه أن يفعل.. توجه إلى مكتب المدير، وغاب بعض الوقت، ثم جاء من يخبرني أن المدير يريدني..

ماذا حدث؟.. ذهبت إلى هناك متوجساً فوجدت أربعة الرجال جالسين وأمام كل منهم فنجان قهوة، وكان الخواجة (مايكل) مرحاً على خلاف العادة..

قال لي:

«اسمع يا جمال. أنت تعرف هذا الهراء الذي يقال عن تلك الغرفة. قلت ما رقمها؟»

«رقم ٢٠٧ يا سيدي.. الطابق الثاني»

«نعم.. نعم.. هؤلاء السادة جاءوا للتحقيق في الأمر.. أريد أن تلبى لهم كل شيء يحتاجون له.. سوف يمضون الليلة في الغرفة..»

كدت أجن من الغيظ.. وماذا عن السرية وكل التكتم الذي طالبتنا به؟.. لو اقترحت أنا شيئاً مماثلاً لفجرت رأسي..

لم استطع أن أظل صامتاً فسألته:

«سيدي.. أكن يضر هذا بسمعة الفندق؟.. شوشرة لا شك فيها.. عندنا في الريف

يقولون: العيار اللي ما يصيبش يدوش..»

قال في بساطة:

«هذا كلام بلدكم.. لكن الحقيقة هي أن هذه الأشياء سوف تجلب لنا دعاية مجانية ممتازة.. الناس فضوليون يا جمال، ولا يمكن أن يقرأوا شيئاً كهذا من دون أن يجربوا..»

لم أكن أثق في هذه الافتراضات بالنسبة لمصر.. النفسية المصرية معقدة جداً ولا يمكن التنبؤ بها، وما قد يجذب الناس في العالم كله قد ينفر المصريين، وما قد ينفر العالم قد يجذب المصريين.. هناك أطباء تنجح عياداتهم لأنهم فظون خشنون وقحون مع المرضى فهذا دليل على أنهم اساتذة كبار، وهناك أطباء تكسد عياداتهم لأنهم مهذبون مجاملون أكثر من اللازم.. حاول أن تتخذ هذه قاعدة ولسوف تفشل يوماً وينصرف المرضى عنك لأنك وقح خشن مع المرضى!.. متى ولماذا تغيرت وجهة النظر؟.. لا أحد يعرف.. مرحباً بك في مصر يا صديقي..

أنت لن تفهم المصريين كما أفهمهم يا خواجه ومهما تظاهرت بأنك ابن بلد ودخنت الشيشة..

قال لي الخواجه:

«هؤلاء السادة سوف يجتمعون في الغرفة الليلة.. أريد أن تكون معهم في حالة ما أرادوا شيئاً»

هذا غريب.. هل عملي يقضي بأن أبيت مع النزلاء لأبني حاجتهم لو أرادوا كوب ماء أثناء الليل؟

لكن الخواجه واصل الكلام مفسراً:

«معهم جهاز تسجيل وكاميرا.. ولسوف يجرون تجربة تحضير أرواح.. سوف يحاولون معرفة الحقيقة. هل هناك شيء لا نعرفه فعلاً، أم أن القصة كلها هلاوس؟»

هكذا وجدت انني متورط مع هؤلاء السادة بأوامر من المدير شخصياً.. كنت أتوقع أن يطردوهم شر طردة لكنهم كانوا مقنعين..

انتظرتهم خارج المكتب حتى لحقوا بي، وفي اللحظات التي صعدت معهم فيها إلى الغرفة اللعينة، عرفت من هم.. هناك (عبد الظاهر) وقد سبق لنا التعارف، وهناك اثنان يعملان بالمجلة أحدهما مصور طبعاً.. الرابع هو المهم لأنهم ينادونه (دكتور مدكور). وهو يتكلم كأنه من ذوي الخبرة.

ملت على (عبد الظاهر) أسأله عن هذا الدكتور.. فقال لي همساً:

«صه.. إنه خبير روحاني»

بمعنى آخر هو نصاب على الأرجح.. لكنه يبدو وقوراً أميناً.. عل كل حال لا يمكن أن تقتنع بنصاب إلا إذا لم يبد كنصاب..

هكذا دخل إلى الغرفة.. فتحت لهم الشرفة ليتطايرو الستار داخلها مرفقاً.. خرج (عبد الظاهر) إلى الخارج وراح يملأ صدره بهواء البحر الذي بلا شك بلل نظارته بالردان...

في الوقت ذاته راح د. (مذكور) يجول هنا وهناك.. فتح الخزانة ونظر داخلها جيداً ودق على خشبها عدة مرات.. أنا أعرف كل ركن في هذه الغرفة وأتمنى لو لم أفعل.. هنا بالذات.. عام ١٩٦٥.. رأى ذلك النزيل وجه شيطان ينظر له في الظلام.. وهنا اشتعلت النار في هذا الستار بلا أي مصدر للهب، وفي الحمام انتحرت تلك الفتاة منذ أعوام.. المرأة التي ترى فيها ماضيك كله.. الفراش الذي يغوص بك تحت مستوى الأرض بمعدل سنتيمتر في الساعة لكنك تدرك هذا بعد فوات الأوان..

من هذه الشرفة دخل ذلك البخار الأزرق الذي كاد يخنق الزوجين عام ١٩٦٣..

كل شيء هنا.. هذه الغرفة يمكن أن تزين أية مدينة ملاه في أي مكان بالعالم.. مع فارق مهم: كل شيء حقيقي ومريع.. لا يوجد كذب هنا..

كان د. (مذكور) يتفحص كل شيء، وتوقعت أن يغمغم في خطورة: «هناك نشاط خفي هنا.. أشعر به في كل ركن».

لكنه لم يفعل لحسن حظه.. لو فعل لقلت إنه يقلد كل فيلم أجنبي رأيته في حياتي..

فقط كان مهتماً بحق، وقد قطب جبينه مفكراً..

جلس وأخرج حقييته وعكف احد الرجال على إعداد جهاز التسجيل. أما الحقيبة نفسها فلم أتبين ما تحويه.. كانت هناك أسلاك على ما أعتقد.. وكان هناك مرطبان فارغ.. هذا هو ما استطعت رؤيته...

أخيراً تكلم الرجل، وكان صوته جديراً بخبير أرواح فعلاً... قال لـ (عبد الظاهر):

«تعال يا أستاذ (عبد) واغلق الباب..»

قال هذا الأخير:

«ربما كنا بحاجة إلى هواء.. الجو خانق هنا..»

«ويعج بالاستاتيكية.. لا أريد لهذا التأثير أن ينقص. أغلق باب الشرفة،

انغلق الباب وإن ظل الشيش مفتوحًا.. كان الغروب قد جاء فاصطبغت السماء بلون
ازرق كثيب يختلط بالأرجواني..

نهضت لأوقد التيار الكهربائي، فقال لي أمراً:

«لا.. لا بد من ظلام..»

جلس رجلان على مقعدين وثيرين جوار الفراش.. كان هناك أنتريه مريح في ركن
الغرفة لذا اتخذت مجلسي على أريكة فيه، بينما جلس (عبد الظاهر) على الفراش ذاته.. ومر
الوقت ببطء شديد.. تدريجياً تلون كل شيء بلون أزرق وبردت الموجودات..

«فلتبدأ»

نبدأ ماذا؟.. على الأرجح هو يتكلم عن جلسة تحضير الأرواح المزمعة..

بدأ (مدكور) ترديد بعض العبارات التي لم أتبينها.. لا أستطيع أن أوكد إن كانت آيات
قرآنية أم لا.. ثم قال بصوت جهوري:

«أشعر بوجود هنا. لو كنت محققاً فلتجيبنا بنعم.. أعطنا علامة»

هنا على الفور انفتح باب خزانة الثياب محدثاً صريراً، وشعرت بالشعر يتصلب على
مؤخرة عنقي.. إذن هذا صحيح!... هناك شيء ما.. أعرف أن الغرفة غير طبيعية، لكنني لم
أعرف يقيناً أنها مسكونة..

واضح أن هذه الجلسة ستكون مفيدة.. مفيدة ومفزعّة..

«هل أنت ذكر؟»

سمعت الصرير من جديد.. اعتقد أن هذه ستكون علامة (نعم).. لكن الأمر كان مخيباً
للأمل برغم كل شيء.. توقعت شيئاً أكثر درامية..

ساد الصمت فلا تسمع سوى صوت الشريط يدور في الجهاز.. وصوت أنفاسنا..

هنا نهض أحد الرجلين، فحمل منديلاً عملاقاً وفرده ثم غطى به رأس الدكتور
(مدكور).. كان التأثير مفزعاً كأنه شبح هو نفسه.. رجل بلا رأس يجلس على الفراش..

نهض (عبد الظاهر) ووقف جوار الدكتور وسأله بصوت مبجوح:

«هل أنت وحدك هنا؟»

هذه المرة جاء الصوت من خلف المنديل وبنبرات (مدكور) نفسه:

«نعم..»

لقد تغيرت السياسة إذن.. كنا نعتمد على طريقة الطرقات، ثم تطور الأمر إلى استعمال الوسيط.. إن الوسيط يستخدم هنا كجهاز ينقل لنا كلفات الروح، والمفترض أنه لا يعرف ما يقوله ولا ما يجري.. إنه في سِنَّة كاملة..

«لماذا احتلت هذه الغرفة؟.. ولماذا لا تتركها في سلام؟»

«لا أستطيع أن أجيب..»

هنا نظر (عبد الظاهر) في الظلام إلى المصور.. التمع ضوء الفلاش مرتين.. ودوى صوت (مدكور) من وراء المنديل:

«من فضلك.. لا صور.. لا صور..»

من جديد نظر (عبد الظاهر) إلى زميله الثاني فسارع هذا إلى فتح المرطبان. ووضع به بيد ترتجف على المنضدة..

قال (عبد الظاهر):

«أرجو أن تترك لنا عينة هنا..»

كان المشهد لا يصدق، وأنا أرى هالة خضراء شبه فوسفورية تنبعث من المنديل، تتجمع كسحابة لأعلى ثم تتجه إلى المرطبان كأنها إصبع عملاقة تشير.. وشعرت كأن المرطبان يتلقى سائلاً يصب فيه.. سائلاً له شكل غازي خارجه.. وبدأت قطرات من هذا الشيء تسيل على الشرشف الذي يغطي المنضدة.

«كفى.. شكراً..»

فيما بعد عرفت أن هذا هو (الاكتوبلازم) الذي يزعم خبراء الأرواح أنها تتركه.. الجيلة الخارجية.. شكل هلامي يحاول اتخاذ شكل صاحب الروح.. محاولة لصب قالب يراه البشر.. آرثر كونان دويل مؤلف شيرلوك هولمز كان يحتفظ في مكتبه بعشرات القوالب من هذه..

لك أن تتخيل أنني كنت في أسوأ حال، وقد رحت أدعو الله أن تنتهي هذه التجربة بسرعة.. الظلام.. الصمت.. صوت (مدكور).. المادة الخضراء القذرة.. جو التوجس والاشمئزاز.. لو صدق ما أراه فنحن بالفعل قد (اخترقنا).. عبرنا الجدار المتين الفاصل بين الموتى والأحياء.. والأسئلة ما زالت تتردد، بينما تأتي الإجابة بصوت (مدكور):

«هل هناك من قتلك يوماً ما في هذه الغرفة؟»

«لا أستطيع أن أجيب»

«هل قتلت نفسك؟»

«لا أستطيع أن أجيب»

صحيح أنني مذعور، لكن ما الذي يثبت أن هذه ليست تمثيلية؟.. لا شيء.. فقط ذلك العرض الساحر للمادة الخضراء التي تحلق في الهواء، لكن أعتقد أن لدى الحواة الكثير من الحيل المماثلة..

«لم لا تستطيع أن تجيب؟»

«لأن أحدكم ملوث.. أحدكم ملعون..»

شعرت بذلك البلب يغمر قميصي.. مددت يدي اتحسس الياقة ثم رفعتها لأنظر لها.. كانت يدي غارقة في تلك المادة الخضراء المقرزة.. وسمعت الصوت من وراء المنديل يهمس:

«هذا هو!... لقد عرف نفسه!»

أنا ملوث وملعون؟.. ما معنى هذا؟.. الأشباح تعرف أكثر على كل حال..

كنا جالسين في ظلام نصف تام الآن.. أنا على الأريكة و(مدكور) على الفراش، و(عبد الظاهر) بين هذا وذاك.. الرجلان على مقعديهما يتابعان كل شيء..

قال (عبد الظاهر) في صوت مرتجف موجهًا الكلام لي:

«إنه أنت!.. المادة تغمرك أنت!.. هذه هي العلامة!»

ثم سأل الروح:

«وماذا نفعل؟»

جاء صوت (مدكور) الغريب من وراء المنديل:

«الملوث يُقتل.. لو لم تقتلوه فقد استحققتم انتقامي!»

«لكن هذا لا يُصدّق..»

«من لم يصدق قد استحق انتقامي!»

صاح (عبد الظاهر) في الظلام:

«أرجو أن تنصرفي.. لا.. بل أمرك بأن تنصرفي!»

من خلف المنديل دوت الضحكة الهستيرية:

«فات الألوان أيها السذج!... إنني لم أكتسب لقب (روح شريرة) من دون سبب قوي..

من يله بالنار يحترق بها!..»

كان الأمر أقرب إلى الكابوس، عندما رأيت المصور يسقط على الأرض ففتشم الكاميرا، وراح يتحسس عنقه وهو يصدر صوت اختناق مريعاً.. كان يقاوم شخصاً غير مرئي يجثم على صدره.. كان يدور حول نفسه كعقرب الساعة وقد استلقى على ظهره وفتح ساقيه.. فقط كان يوجه ركلات محمومة إلى الأرض بكعبه..

صاح (عبد الظاهر):

«أتركه!.. هو لم يؤذك!»

جاء الصوت يقول في ثبات:

«إنه لا يصدق ولا يطيع.. ولسوف تلحقون به ما لم تصدقوا وتطيعوا.. الملوث يُقتل!»

هنا نهضت بدوري وصرخت:

«كفوا عن هذه الهلاوس!.. هذا الرجل يتكلم بإرادته.. لا يوجد شيء ولا روح تنطق

بلسانه..»

يا لهذا الظلام الذي يجعل الحركة صعبة!.. فقط هو يسمح لك بأن تدرك كل شيء، لكنك لا تعي التفاصيل.. مددت يدي فانتزعت المنديل الذي غطى به (مدكور) رأسه فصرخ.. كأن عينيه احترقتا من سطوع الضوء. صرخت بدوري عندما أدركت أنه لا توجد له عينان.. هناك فجوتان..

صرخ (عبد الظاهر) من جديد:

«أنت مخبول!... سوف تقتلنا جميعاً!»

ولم أدر كيف وثب عليّ هو والرجل الرابع.. كيف جراني من ياقتي فسقطت على الأرض.. هنا جثما على صدري، وراحت أصابع (عبد الظاهر) القوية ترفع رأسي عن الأرض ثم تضربه بها. مرة ومرة بلا توقف..

الكلام يترجرج في صدري.. لا أقدر على.. أن... أتكلم...

«أنت.. أنت.. توشك.. على.. على.. قتلي!»

«ومن قال العكس!.. الروح أمرتنا بذلك!»

كنت في مأزق مخيف!.. إنهما يقتلانني حقيقة لا خرافة.. وهو ذا الدكتور (مذكور) ينضم للحفل.. يجثم فوقني هو الآخر.. فجواته السوداء وان تحدقان في، وهو يضغط على عنقي بلا توقف..

إنني.. أمو.. أموت!

أموووت...

عندما تتسلل لك الشمس من خلال زجاج النافذة، تشعر بأنها عذراء باسمه تهزك في رفق: أما زلت نائماً؟.. هلم انهض يا كسول!

ابتسمت لها وهزرت رأسي وغمغمت: شكراً أيتها الحسنة.. كانت ليلتي قاسية، هنا انفجر بركان من الألم الذي لا يمكن وصفه.. هناك في رأسي حجر رحاية، أو ذلك الجسم الذي كنا نهز بذرة المانجو ونحن أطفال فنسمعه يرتج بالداخل..

أنا على أرض غرفة.. بالتحديد الغرفة ٢٠٧.. أتذكر كل شيء.. هؤلاء المخابيل كادوا يقتلونني لكن ماذا حدث بعدها؟.. ولماذا لم يواصلوا المهمة؟..

نهضت إلى الحمام فأفرغت معدتي بسبب كل هذا الغثيان، وغسلت وجهي.. كانت هناك مادة خضراء تشبه النشاء على ياقة قميصي.. بالواقع كانت تلوث ملاءات الحجرة وكل شيء فيها.. هناك مرطبان امتلأ ببلورات خضراء كأنها الزمرد.. هذا هو ما بقي من تجربة الليل.. الاكتب بلازم..

مترنحاً نزلت إلى الاستقبال حيث كانت (هيام) الموظفة الجديدة تملأ بعض الأوراق، فرأيتني وأبدت دهشتها:

«ماذا بك؟.. أين كنت؟.. هل تتعاطى الخمور؟»

«لماذا؟»

«شكك وهذا الشيء على يافتك..»

حككت رأسي وطلبت بعض القهوة من الكافتيريا، ثم سألتها عن نزىل الغرفة ٢٠٧..
الأسببناز (عبد الظاهر) الصحفي.. هل رأته اليوم؟

قالت باسمة:

«أنت تعرف أنه رحل أمس!»

رحل.. متى؟

«لقد طلب من الخواجة ترتيب جلسة تحضير أرواح.. وافق الخواجة أولاً ثم فكر في الأمر فأعلن أنه غير موافق.. تشاجر معه الفزىل، وسرعان ما جمع حقائبه وانصرف!.. أنت مختلف منذ البارحة، ولكن هناك من يقول إنك كنت تمشي في الطابق الثاني وتكلم نفسك!»

كنت أأاول تجميع الخطوط. ربما كان هذا ممكناً لولا الألم في رأسي.. معنى هذا؟.. لم تكن هناك أية جلسة تحضير أرواح؟.. إذن من الذين كانوا معي وحاولوا خنقي؟

هنا بدأت استوعب الأمر وارتجفت..

في اللحظة التي غادرت فيها مكتب الخواجة أمس لم يلحق بي الصحفي (عبد الظاهر) ومن معه.. كانوا في المكتب يتناقشون مع الخواجة تلك المناقشة التي انتهت بعدوله عن تجربة تحضير الأرواح، فالشجار معه ومغادرة الفندق..

أما أنا فلم ألحظ أي شيء.. مشيت كالأحمق مع أناس لا وجود لهم صنعهم خيالي.. تكلمت معهم.. دخلت معهم الغرفة.. أغلقتها.. ثم بدأت تجربة تحضير أرواح غريبة ووسيط ومنديل و.. و..

لم أكن مع (عبد الظاهر) و(مدكور) والمصور.. كنت في الحقيقة أمضي ليلتي في الظلام وفي غرفة مغلقة مع السر الشرير الذي يسيطر على هذه الغرفة!..

الروح التي تكلمت لم تكن هي تلك الروح التي تسكن الغرفة.. هؤلاء هم الذين يسكنونها!.. أنا اخترت أن أكون وحدي في غرفة مغلقة مع أشباح!

لقد كان الأمر كله لعبة مخصصة لإفزازي حتى الموت، وقد ظفرت الحجرة بالكثير من التسلية الشريرة على حسابي.. وانتهت اللعبة بمشهد بدا لي أنه نهايتي، لكن هذه الأشباح تركت لي تذكارة مهماً.. مرطبانا به بلورات خضراء غامضة..

سوف أتخلص منه طبعاً.. لا أريد أي شيء يمت لهذه الليلة..

يمكنك التخلص من البلورات في الحمام.. لكن هناك بلورات أخرى في روحك لن تزول أبداً.. بلورات نكريات تلك الليلة السوداء داخل الغرفة ٢٠٧ ..

شيء ما

ذاك الأسبوع كان مزدحمًا بحق، ففي يوم الخميس جاءت (إيريني) ابنة عم (ميناء) مع عريسها.. لقد كبرت الفتاة وتزوجت، وقد رتب لها أبوها أسبوع عسل في فندقنا. من الطريف أن ترى عم (ميناء) المحاسب العجوز الذي تشعر بأنه لا يعرف في الدنيا سوى كشوف الحسابات والأرقام، حتى يذكر بك بذلك المحاسب الذي تراه في الأفلام العربية القديمة والذي يقوم بتلحين الميزانية، وفجأة تكتشف أن هذا الرجل أب.. وتكتشف أن لديه دموع تأثر، وأنه يمكن أن يقبل ابنته ويرتجف..

لقد كلمني عن حجز غرفة، وفي ذلك الوقت لم تكن عندي سوى الغرفة ٢٠٧ فقد كان الموسم في ذروته. قلت له في ريبة:

«لو كنت مكانك لنسيت الأمر.. هذه الغرفة خطر داهم ولا أنصح بها بتاتاً..»

فكر في الأمر وجفف عرقه، ثم قال:

«يا أخي ليست الغرفة سيئة لهذا الحد.. كانت هناك أسرة كاملة فيها منذ أسبوع..»

قلت بلهجة العالمين ببواطن الأمور:

«هذا صحيح.. الغرفة تتصرف بمزاجها، وقد تتجاهل عشرة نزلاء لتتسلى على الحادي عشر. دعك من أنك تعمل بالفندق وتشكل إغراء لا بأس به.. أعتقد أنه لو حدث شيء لحدث لابنتك دون سواها!»

قال في توتر:

«إذن ماذا أفعل؟»

وجاء الحل والحمد لله عندما تم إلغاء حجز الغرفة ٣١١.. هكذا أمكن تسوية كل شيء، وجاءت العروس مع عريسها. وقد أقمنا لهما احتفالاً صغيراً.. عندما تعمل في فندق تكون قادراً على مجاملة من تريد بأبسط الطرق. هناك دائماً معاملة خاصة تدخرها لمن تريد وأنت تبقي هذه المعاملة بعيدة عن عامة النزلاء. هذا يذكرني بما أعرفه عن أن بائعة الهوى لا تسمح للزبائن بتقبيل شفتيها.. لماذا؟.. لأنها تدخرهما لمن تحبه حقاً.. لا بد من شيء ما يميزه عن الآخرين. صحيح أنه تشبيه صادم لكنه اقرب مثال يوضح لك الموقف.

جاءت (سارة) المضيفة واستندت إلى الكاونتر وهي تمضغ اللادن وترقب ما يحدث في خبث، ثم قالت:

«عريسها يبدو رقيقاً..»

هزئت رأسي وقلت:

«لن نتزوجه على كل حال.. هي فعلت.. حتى لو كان شيطاناً فهذا شأنها..»

قالت وهي تنظر في عيني:

«بعض الرجال يكونون مناسبين أكثر من سواهم»

يجب أن أقول هنا إنني كنت قد بدأت ألين في هذه الفترة بالذات.. كنت مطلقاً منذ فترة، وكنت هشاً نفسياً بالفعل.. كأنتني جدار يبدو قوياً لكن هناك نقطة متداعية من الداخل، ولو طرقت عليها طرقتين لانهار الجدار وسقط.. (سارة) كانت تعرف الموضع الهشة في أي جدار.. وقد طرقت بعناية وبراعة، حتى إنني كنت على وشك أن أقولها في أية لحظة.. تسألني بعد هذا لماذا أفرط في التدخين وأكل اللادن كلما ظهرت سارة.. أحياناً أتمنى لو كنت أخرس أو بلا لسان.. هناك قصة لا أنكر اسمها ولا أبطالها، لكنني أنكر فقط أن البطل كان يجلس جوار بئر يدس فيها رأسه تحت الماء كلما أوشك على أن يلفظ كلمة معينة.. هذا هو ما أفعله بلا توقف..

سوف تفلت منك الكلمة في لحظة تهور عاطفي، وبعدها لن تعود الحياة أبداً كما كانت ولن تستطيع التملص.. (سارة) حسناء وخفيفة الظل وكل تلميحاتها تصب في اتجاه واحد، لكنني فشلت في زواجي مرة ولا أريد أن أفشل مرتين.. المرة الثانية هي التي تجعل عدم التوفيق مرة فشلاً.. المرة الثانية هي التي تحول من سرق مرة إلى صاحب سوابق.. هي التي تحول الفتاة التي زلت مرة إلى ساقطة.. تحول الموظف الذي خضع للإغراء مرة إلى مختلس محترف..

سألتنني سارة على سبيل التدخل فيما لا يعنيها:

«من الذي يقيم في الغرفة ٢٠٧ الآن؟»

«لا أحد.. لماذا تسألين؟»

ونظرت في حذر لأرى إن كان أحد يسمعون.. كان هناك شابان يقفان على بعد خطوات ويشعل أحدهما للآخر لقافة تبغ.. قالت لي:

«أنا لست بلهاء.. كلنا يعرف أن هذه الغرفة ليست على ما يرام..»

«صه!... الخواجة أدلى بتعليمات مشددة منذ زمن سحيق.. ربما قبل أن تولدي أنت،

وهذه التعليمات تنص على عدم الكلام عن الغرفة..»

«ماذا يوجد في الغرفة ٢٠٧ هذه؟.. هل تعتقد أن هناك شخصاً مدفوناً في جدرانها؟»
قلت في غيظ:

«كفي عن السخف!»

ولاحظت أن أحد الرجلين الواقفين يتابع ما أقول فجن جنوني. إنهما نزيلان في الغرفة ٢١٣، لكنهما سوف يثرثران كثيراً.. لذا قلت لها آمراً:

«سارة. لا مزاح في هذه الأمور.. من السهل أن يعود كل منا إلى بيته هذه الليلة بالذات.. بالنسبة للخواجة ليس هناك شخص عزيز أو لا يمكن الاستغناء عنه..»
قالت (سارة):

«ولماذا تصرون على أن تظل الغرفة ٢٠٧ مفتوحة؟.. لماذا لا تغلقونها تماماً أو تحولونها إلى مكان مفتوح؟.. قاعة انتظار مثلاً.. امتداد للشرفة.. الخ...»

«أنا لست مدير هذا الفندق.. هذه نقطة.. النقطة الثانية هي أنها تجلب مالا...»
قالت وكأنها ترتجف:

«لو كنت أنا الخواجة لصببت فيها الخرسانة حتى تتحول إلى شيء مصمت...»
«لحسن الحظ أنك لست الخواجة..»

رفعت حاجبها في نوع من المداعبة الفضولية، ثم انصرفت بسرعتها المعتادة.. سرعة لبرق.. كانت من المنصورة، وهذا يعطيك فكرة عن مدى جمالها.. لكنني لن اضعف. لن فشل ثانية.. لن...

كنت غارقاً في هذه الخواطر عندما ظهر (مايكل ثورنتون).. كنت أؤمن أنه لا يمكن أن تثق فيمن يكون اسمهم (مايكل ثورنتون) وكنت على حق..

سائح بريطاني في الخمسين من العمر.. هذا ما يمكن أن تستخلصه من أوراقه، أما لا تقوله الأوراق فهو أنه صموت جداً.. شاحب جداً.. حول عينيه هالات كثيفة من اسوداد.. يلبس قميصاً واسعاً يطل منه عنقه النحيل المليء بالتجاعيد.. عامة تشعر بأن جلده كان مشدوداً بشدة ثم تلاشى الشد فارتخى وتجدد.. الأوردة واضحة جديدة باي أطلس تشريح..

حول عنقه قلادة غريبة الشكل وهناك وشم على صدره.. في أذنه قرط متدل. يجب أن نترك بأن هذه الأمور لم تكن موجودة على الإطلاق في ذلك الزمن.. كان الرجال الغربيون

بيدون مثلنا ويلبسون مثلنا. توصلت إلى الاستنتاج الوحيد المعقول في ذهني وأخفيته على الفور: هذا رجل شاذ جنسياً.. هذا من شأنه على كل حال ما لم يطلب موظف الاستقبال في الرابعة صباحاً لإصلاح تكييف الحجرة!.. وقتها لن أذهب!

قال لي:

«أريد غرفة تطل على البحر..»

ثم فكر حيناً وقال:

«كان هناك سياح بريطانيون هنا منذ شهر.. قيل لي إن الغرفة ٢٠٧ مناسبة!»

فهمت!.. لم يبق سياح بريطانيون في تلك الغرفة منذ عامين على الأقل.. كلامه كذب لا شك فيه، وهو يعتقد أننا ننسى من يقيمون في تلك الغرفة.. على كل حال لم أجد ما أفعله سوى أن أنهي الإجراءات.. وكنت على يقين من أن قصة جديدة تبدأ في هذه اللحظات بالذات..

استقر الأخ (مايكل) في غرفته وبدأ أن الهدوء ساد المكان..

اتصلت بالعريسين في الغرفة ٣١١ عارضاً أية خدمة، لكنهما لم يردا.. هكذا وضعت السماعة وجلست أترثر مع (مصطفى) ونشرب الشاي..

في ساعات الصباح المبكرة هذه يتلاشى القناع الرسمي المميز لموظفي الفندق، وتسود حالة من الانفلات المحبب.. إن السهر يضعف قدرتك على الوقار، وتزول تلك الخنافة التي تصطنعها في تعاملات النهار.

هنا دق جرس الهاتف..

نزىل الغرفة ٢٠٧ يطلب من يصلح له جهاز التكييف!!.. توقعت هذا كما قلت لك، ولما كان من الصعب أن اتصل بالصيانة في هذه الساعة فقد قررت أن أصعد إلى الغرفة. عليّ أن أكون حذراً لأنني لا أرتاح لهذا الرجل أكثر من ارتياحي لأي شاذ جنسياً يطلبني في الرابعة صباحاً..

قرعت الباب فانفتح.. توقعت أن يكون مرتدياً روباً زاهي الألوان ويدعوني إلى كأس.. هكذا تسير الأمور، لكنني كنت أعرف أنني لو رأيت هذا المشهد لفررت كما أفر من الأسد.. إلا أن الرجل فتح لي الباب ففوجئت بأنه بكامل ثيابه كما كان وهو يطلب الغرفة. رجل وقور جداً باستثناء الوشم والقرط ويبدو أنني أسأت الظن فيه.

كانت الغرفة حارة فعلاً، وقد فهمت بلغتي الإنجليزية العرجاء أنه لم يشغل التكييف إلا من ربع ساعة (لأن الطعام سوف يفسد) .. أي طعام؟

نزعنت حذائي وصعدت على مقعد وفككت غطاء جهاز التكييف المركزي في السقف ونظرت .. لا توجد مشكلة .. هكذا نزلت وبدأت أعبت في الثرموستات .. قلت له:

«من الغريب أنك لم تبدأ التشغيل إلا الآن ..»

لقد كانت زجاج الشرفة مغلقاً وهذا يجعل الغرفة لا تطاق فعلاً .. لو فتح الزجاج لهب هواء البحر يملأ الغرفة ويطير كل شيء ..

قال لي وهو يشهق:

«اعتدت الحرارة العالية. قضيت أكثر حياتي في جزر الكاريبي لهذا لا ألاحظ الحر إلا في الظروف القصوى ..»

«هل أنت مستكشف؟»

«لا .. أنا مصور ..»

أخيراً بدأ جهاز التكييف يهدر .. نظرت له وابتسمت ... فضحك للمرة الأولى .. هنا لاحظت أن أسنانه مشرشرة حادة بطريقة غريبة ..

كان يواصل كلامه:

«من الجميل أن تجوب العالم وأن ترى ثقافات جديدة .. لا تتصور العادات الغريبة التي اكتسبتها من تعاملتي مع سكان تلك الجزر ..»

هزرت رأسي في تهذيب ثم سألته عن عشائه .. لقد جاء بعد ما انتهت الخدمة في المطعم، فقال:

«سأصرف .. لا تقلق ..»

اتجهت للباب، عندما دست جوار الفراش والحقيبة المفتوحة على شيء صلب غريب .. انحنيت لأرفعه، ففوجئت بأنه عظمة .. عظمة قصبة رجل لا شك في ذلك .. حجمها يؤكد يقيناً أنها بشرية ..

رفعت عيني وفيهما علامتا استفهام، فقال ضاحكاً:

«قلت لك إنني قابلت ثقافات غريبة..»

«فهمت.. الثقافات التي تحتفظ بعظام بشرية على سبيل الذكرى!»

قال وهو يضع العظمة في الحقيبة:

«لا.. هم يقدسون أشياء غريبة، وقد جمعت الكثير من التذكارات.. حقائبي مليئة

بالغرائب..»

«لا أشك في هذا..»

وكنت متلهفاً على الانصراف بطبيعة الحال، لكنه فتح حقيبة أخرى وأخرج زجاجة يبدو أنها تحوي نوعاً من الخمور، وقال:

«هذه بيرة محلية قوية جداً.. جزء آخر من ثقافتهم.. أنا مصمم على أن تجربها معي..»

بالطبع هذا آخر شيء أنوي عمله.. كنت أتوقع أن يدعوني للشراب وعرفت من أول لحظة أنني سأرفض بشدة..

«شكراً.. أنا منكم في العمل الآن..»

قال بلهجة الترغيب:

«يمزجونها بمادة نباتية اسمها أياخواسكا.. هذه المادة مصدر ممتاز لمادة DMT.. هذا

يجعل شربها تجربة شبه صوفية.. سوف تهلوس وتستمتع..»

«هذا يزيد من إصراري على الاعتذار..»

وحانت مني لفظة إلى الحقيبة التي أخرج منها الزجاجة.. لماذا يحب السياح البريطانيون المصورون أن يضعوا كل هذه المدي العملاقة في الحقيبة؟.. لم أر هذه المجموعة من المدي من قبل إلا في حزام الجزار الذي يدور على البيوت بعد صلاة عيد الأضحى.. فقط لا بد من فراء خروف دام وكيس به بعض الأمعاء كي تكتمل الصورة..

رأيت أنه يرفع الزجاجة إلى فمه فيجرع منها جرعة هائلة.. لو كانت تحوي مادة تسبب الهلوسة فهو منيع بالنسبة لها..

هزرت رأسي محيياً وقررت من الغرفة..

سوف يتناول عشاءه حالاً ولكن أي عشاء؟

عدت إلى الاستقبال ولم أجلس خلف الكاونتر.. كان الأنترية المعد في اللوبي فارغاً لذا جلست هناك واسترخيت ونزعت حذائي وأشعلت لفاقة تبغ..

هنا دق جرس الهاتف..

كان المتكلم أحد نزيلي الغرفة ٢١٣ الشابين.. قال لي:

«كنت أمر في البهو منذ دقائق.. هناك أصوات غريبة من الغرفة ٢٠٧.. أصوات مكتومة كأن هناك من يستغيث..»

قلت بلا مبالاة:

«سيدي.. أنا كنت هناك منذ عشر دقائق.. كل شيء هادئ..»

عاد يقول:

«هل رأيت زميلي في الغرفة؟.. ذلك الشاب فارح الطول.. (محمود).. لقد خرج منذ نصف ساعة بالمنامة.. لا أعرف ماذا سمعه أو سبب خروجه لكنه لم يعد..»

قلت في نفاذ صبر:

«سيدي.. لم يمر عليّ أي واحد بالمنامة ولو حدثت للاحتظت هذا حتمًا.. ابحث عن زميلك في الشرفة أو في غرفة أخرى..»

«لكنه لم يغادر الفندق.. من المستحيل أن يفعل وهو بالمنامة..»

«ألا يجعلنا هذا نشعر بالراحة؟»

ووضعت سماعة الهاتف مغتاظًا.. أكره النزلاء الذين يتصرفون كالأطفال.. هؤلاء الذين يمكن أن يتصل بك أحدهم شاكيًا من أن ظهره يؤلمه أو أنه يحلم بكوابيس..

رحت أفكر بعض الوقت ثم بدأت أشعر بعدم راحة..

نعم.. إنها الفكرة التي تتكون كبذرة ثم تنمو ثم تورق ثم تثمر.. لن أخسر شيئًا لو رأيت بنفسي..

هكذا استقلت المصعد إلى الطابق الثاني، ومشيت حتى الغرفة ٢٠٧.. كان هناك نور يتسرب من أسفل الباب.. دقت الباب مرتين في حذر عالٍ أن موقفي سخيّف وقد ينتهي بالتوبيخ في أفضل الحالات.. ولاحظت أن البريطاني وجد لافتة (لا تزعجني) الموضوعة في الدرج وعلقها على مقبض الباب.. هذا يعني أن جريمتي مضاعفة.

انفتح الباب وظهر المدعو (مايكل) وهو مندهش.. قلت له في كياسة:

«معذرة.. أعتقد أن هناك مشكلة في جهاز التكييف عندك.. يبدو أنني أخطأت في ضبطه.. هل لي أن ألقى نظرة؟»

قال في برود وهو يلوك شيئاً ما:

«بالطبع لا.. أنا أتناول عشائي الآن.. والتكيف يعمل جيداً..»

«المشكلة هنا أنه قد يعمل عندك جيداً لكنه يؤثر في الغرفة المجاورة.. ربما لو سمحت لي

بأن.....»

«لا..»

كان يسد الباب بجسده بحيث لم يعد أمامي سوى أن اشتبك معه جسدياً لو أردت أن ألقى نظرة.. للحظات وقفنا نتبادل النظرات.. كأنه صراع حيوانين على منطقة نفوذ..

في النهاية هزرت رأسي معتذراً وتراجعت..

وانغلق الباب في وجهي...

هناك شيء ما يجري بالداخل.. أعرف ما هو تقريباً لكنني لا أجرؤ على التصريح به. هنا وثبت مترين في الهواء لأن هناك من لمس كتفي.. وسمعت من يقول لي:

«هل قابلت زميلي؟.. إنه لم يعد بعد!»



والآن كف عن اتهامني بالجنون ورتب أفكارك معي:

١- رجل غريب الأطوار يتحدث عن تجارب (خاصة) في الكاريبي.

٢- الرجل اختار الغرفة ٢٠٧ ألعن غرفة في الفندق.

٣- لم يتناول عشاءه بعد لكنه سيقصر.

٤- هناك عظمة آدمية تحت فراشه.

٥- معه مجموعة غريبة من المدي التي لو حملها جزار لاتهمته بالمبالغة.

٦- حاول أن يغريني بشرب تلك البيرة القوية الغريبة.

٧- إنه يرفض أن يدخل أحد غرفته الآن.

٨- يتزامن هذا مع اختفاء نزيل شاب. نزيل اختفى بتياب النوم وهذا يعني أنه موجود

في الفندق.

٩- هناك أصوات صراخ تخرج من الغرفة.

وهذه الملامح الغريبة والجلد المشدود.. أليست هذه سمات أكلة لحوم البشر كما علمونا في القصص؟

والآن لو كنت مكاني فماذا تستنتج؟.. الحقيقة أنه لو كان هناك أكل لحوم بشر في العالم، وقرر أن يتخذ مسكنه في فندقنا، فلن يختار سوى تلك الغرفة.. ٢٠٧.. هذا شيء معروف..

علي أن أفكر بسرعة.. لو لم أكن مجنوناً لكان عامل الوقت مهماً جداً.. ربما لم يعد مهماً لكن علي أن أفترض أنه ما زال كذلك..

قلت للرجل نزيل الغرفة ٢١٣:

«هل تعتقد أن صاحبك قصد الغرفة رقم ٢٠٧؟»

بدت عليه الحيرة فالتردد، ثم قال بعد قليل:

«في الحقيقة.. كان ساكن تلك الغرفة يقف بزجاجة (مُنكر) على الباب يجرع منها وينظر لنا.. اعتقد زميلي أنه يدعوهُ إلى الشراب، وهو (صاحب مزاج).. كان يموت من الظمأ.. أقنعتُهُ بأن يهدد قليلاً.. لكنه غادر الغرفة بينما أنا في الحمام.. لا أرى ما يمنع من أن يكون قد لحق بهذا الأجنبي في الغرفة.. لكن لا توجد وسيلة للتأكد،

نعم. الآن أرى السيناريو واضحاً.. البحث عن شاب يقاسمه الشراب.. الشراب الذي يحتوي على مادة (أياخواسكا) تلك.. طبعاً شرب (محمود) جرعة وفقد وعيه.. هكذا يبدأ الحفل..

قلت للفتى:

«لدي كل ما يدفعني للاعتقاد بأن صاحبك في خطر.. لكن لا يمكن طلب الشرطة.. ليس من حقنا تفتيش الغرفة..»

نظر لي في خطورة، ثم قال:

«دعني أفكر.. كم واحداً منكم هنا في هذه الساعة؟»

فكرت قليلاً هناك أنا.. و(مصطفى) وهناك رجل الأمن (مختار)، وهو نائم في مكان ما ومن المستحيل العثور عليه.. فيما عدا هذا لا يوجد سوانا متيقظاً..

قال لي:

«سوف أمنحكم فرصة لدخول الغرفة وتفتيشها.. لكن عليكم أن تبقوا فيها حتى تسمعوا صوت مواء القط.. هل تفهم؟.. مواء القط!.. لا يجب أن يراكم هذا الأجنبي تخرجون من غرفته بأي ثمن.. أنا سوف أعمل على إبعاده ولن أعطيكم الإشارة إلا عندما يكون الطريق خالياً..»

هكذا تم تنفيذ المخطط بدقة..

وقفت ومصطفى.. الذي عرف تفاصيل القصة.. في ركن الردهة المظلم.. هنا ظهر الفتى المصري واندفع نحو باب الغرفة ٢٠٧.. قرع الباب مرة ومرتين.. سمعنا صوتاً غاضباً يتململ من الداخل، ثم انفتح الباب ليظهر البريطاني عاري الجذع.. من مكاني كان بوسعي أن أرى الشرر يخرج من عينيه وهو يتساءل عما هنالك..

هنا كان الفتى المصري يلعب دوره كأفضل ما يكون.. راح يصرخ ويتكلم ويلطم خديه.. طبعاً هو لا يجيد الإنجليزية لكنه أرسل رسالة استغاثة عالمية.. من حين لآخر يهتف بالعربية: «ساعدني يا خواجه!»

ويشير لنهاية الممر من الناحية الأخرى.. الرسالة معناها أن هناك كارثة ما.. يجب أن تأتي لتساعدني..

في النهاية لم يجد البريطاني بداً من إغلاق بابه واللحاق بالفتى..

ما إن تواريا حتى اندفعت و(مصطفى) وفتحنا باب الغرفة ٢٠٧ وتسللنا إلى الداخل.. كان قلبانا يوشكان على التوقف من الانفعال..

كانت الغرفة في حالة من الفوضى.. التلفزيون مفتوح.. الحقائق تم إفراغها فيما عدا حقيقة واحدة واضح أنها تلك التي تضم (التذكارات).. فتحتها وبحثت داخلها فوجدت تماثيل صغيرة يبدو أنها من تذكارات الكاريبي.. هناك قلادة غريبة الشكل، وقطع نسيج لها طابع وطني.. لا أعرف أي وطن بالضبط..

لم أجد سوى تلك العظمة التي تعثرت بها..

لم يكن هناك شيء في الغرفة ولا تحت الفراش.. قلت لمصطفى وأنا أمسك معدتي:

«الحمام!.. ألق نظرة في الحمام!.. لا أريد أن أرى!»

فتح الباب في حذر وأطل برأسه.. ساد صمت طويل.. صحت:
«ماذا هنالك؟»

قال وهو يخرج رأسه:

«لا شيء.. لقد أخذ (دوش)»

إذن أين الفتى (محمود)؟.. أين بقاياها؟.. أين ذلك العشاء؟

كانت الإجابة تنتظرنا على الفراش.. جريدة مفتوحة بها بقايا شطائر من الفول والطعمية.. هذا هو العشاء وهو عشاء بائس جداً.. بريطاني مفلس غليان مثلنا إذن.. (الطعام سوف يفسد).. منك لله يا شيخ.. كنت تتكلم كأنك ستأكل خروفاً مشوياً!

قال (مصطفى) في حيرة:

«ما معنى هذا؟»

قلت باسمًا:

«معناه أنني أحقق.. هذا مجرد رجل بريء غريب الأطوار.. إنه مولع بثقافة الكاريبي لكنه ليس كما حسبت.. لقد كان الإنذار خاطئاً..»

«والفتى المختفي؟»

«سوف نجده في مكان آخر..»

اتجه (مصطفى) للباب ليفتحه، لكنني استوقفته في حزم.. لا بد من مواء القط.. لو فتحنا الباب ووجدنا البريطاني أمامنا لكان هذا ألغن موقف يمكن تصوره.. كلا.. لا يمكن أن نخرج الآن..

هكذا انتظرنا وانتظرنا.. لا بد أن نصف ساعة مر علينا ونحن نتبادل النظرات القلقة.. في النهاية قلت لمصطفى إننا لن ننتظر للأبد.. فتحت الشرفة واستعملت ذلك المدخل السري بالعكس.. أي إننا وثبنا فوق الحاجز لنخرج إلى الشرفة الرئيسية..

بعد دقائق كنا في الردهة..

هنا سمعت صوت الأنين.. هرعت لأرى ما هنالك فوجدت البريطاني راقداً جوار جدار وهو يتحسس رأسه.. لقد ضربوه!

ساعدناه على العودة إلى غرفته وأرقدناه في الفراش بينما هو يقول كلامًا مختلطًا يستحيل فهمه..

هرعت إلى الغرفة ٢١٣ فوجدتها مفتوحة.. دخلت لأجد أنه لا يوجد فيها تلفزيون والثلاجة الصغيرة قد اختفت....!

هرعت إلى الاستقبال فشعرت كأن إصصارًا مر هناك.. كل ما هو جميل أو يبدو قيمًا قد تم أخذه.. أما الدرج الذي احتفظ فيه بالنقود فقد تم تحطيمه وأخذوا ما فيه برغم أنه ليس مبلغًا كبيرًا...

لا أثر لنزيلي الغرفة ٢١٣...

عندما عاد (مصطفى) أخبرته بمعنى هذا كله.. عندما كنت أتكم مع (سارة) عن الغرفة ٢٠٧ سمعنا نزيلا الغرفة ٢١٣ وفكرا في طريقة لاستغلال تلك الغرفة، خاصة بعد ما لاحظا الدرج الذي أضاع فيه المال.. هنا ظهر النزير البريطاني غريب الأطوار.. فكرا في أنني سأصدق أي شيء يقال عن هذا النزير وعن تلك الغرفة..

بالطبع لم يعرفا أنني أفكر في موضوع أكلة لحوم البشر، لكنهما فكرا في أن يختفي أحدهما وتحوم الشكوك حول البريطاني.. هكذا أقوم بحماقة بجمع كل من هو سهران في الفندق داخل تلك الغرفة لتفتيشها.. ننتظر مواء القط الذي لن يأتي أبداً كما لن يأتي (جودو).. في هذا الوقت يفرغان غرفتهما من كل ما هو ثمين، ويهرعان إلى الاستقبال الفارغ المقفر فيسرقان ما يقدران عليه، ثم يفران إلى سيارة تنتظر بالخارج!..

هذه المرة لم يكن الخطر من الغرفة ٢٠٧.. كان من الغرفة ٢١٣!

طبعًا هناك بيانات عنهما في دفتر الفندق، لكن من قال إنها لا يحملان هويتين مزورتين؟.. هناك شخص واحد أثق به وأعرف من هو يقينًا ألا وهو البريطاني غريب الأطوار.. كان رأيي دومًا أنه بوسعك أن تثق في البريطانيين الذين يحملون اسم (مايكل ثورنتون).. ألم أخبرك بهذا من قبل؟

قلادة وعطر وساعة حائط

قلت لعم (مينا) و(مصطفى) ونحن نتناول طعام العشاء:

«هذه الغرفة ملعونة»

نظرا لي في غباء، ثم قال (مصطفى):

«ما شاء الله.. بعد عشرين عاماً وعشرات القصص المخيفة تأتي أنت في ذكاء لتقول لنا ما نعرفه منذ دهر.. كان ابن عمي في بلدنا يطرق بابي ليقول لي في حماس: أنا متأكد أن إسرائيل تدبر شيئاً.. الطريف في الموضوع أنه كان يقول هذا بعد هزيمة ٦٧ بعامين!»

قلت في غيظ:

«لم أكمل كلامي بعد.. قلت إن هذه الغرفة ملعونة، وإن علينا أن ننهي هذه القصة بأي شكل.. يجب أن تُغلق للأبد»

كان العشاء أمامنا على ورقة جريدة، وكنا نأكله على عجل في ركن من الكافتيريا على منضدة صغيرة. (ممدوح) عامل الكافتيريا يعد لنا الشاي بسرعة والمكان مغلق علينا والإضاءة خافتة.. على الجريدة هناك عدة أرغفة وبعض مثلثات الجبن وبيض.. هناك طعمية ابتاعها مصطفى من الخارج.. هكذا كنا نتكلم بأفواه مليئة.

قال لي عم (مينا):

«هل تعتقد أنك صاحب الفندق؟.. لا يمكنك أن تنقل مقعداً من دون إذنه»

«لهذا أفكر.. أفكر..»

ودسست لقمة عملاقة في فمي.. لقمة من الطراز الذي يصلح للتفكير..

انتهى العشاء فجلسنا نشرب الشاي وندخن على عجل.. إن (مراد) الشاب ينتظرني هناك على الكاونتر ناقد الصبر ليرحل. عندما كانت الصحة تسمح كنت اضيف للشاي شيئاً ما، على فرض أنه يساعد على السهر، لكنني أحمد الله على أنني ما زلت قادراً على شرب الشاي على الأقل..

عدت إلى الكاونتر وشكرت (مراد) على الوقت الذي قضاه.. كان هو متورطاً في كتابة بيانات نزيل. بالنسبة لشاب عديم الخبرة تبدو هذه العملية أعقد من كتابة ملحمة إغريقية. هكذا وقفت أراقبه باسمًا وأنا أراه يفحص بطاقة النزيل ألف مرة، ثم يضعها وينسى أين وضعها.. ثم يكتشف أنها تحت الدفتر فيخرجها فقط ليكتشف أنه أضاع القلم. قلت له مصححاً:

«لا تكتب هذه البيانات هنا.. إن..»

هنا دق جرس الهاتف فرفعت السماعة..

نزيل الغرفة رقم ٢٠٥ يقول إن هناك أصواتاً غير مريحة قادمة من الغرفة المجاورة.. هكذا يبدأ ٩٠٪ من قصص الغرفة ٢٠٧ اللعينة..

يا فتاح يا عليم... أشعر تحت جلدي بذلك الشعور المريب.. هناك قصة ما توشك على أن تبدأ..

اتصلت بخدمة الغرف وطلبت من الفتى (إبراهيم) أن يفحص الغرفة ٢٠٧.. لا يوجد نزلاء فيها حالياً ومعنى هذا أن شيئاً يتحرك فيها.. طبعاً لم أقل له هذا وإلا لرقع بالصوت الحيواني، لكنني قلته لنفسه.. مع الوقت صارت التفسيرات الخوارقية تحل أي سؤال يعن لي بصدد الغرفة ٢٠٧.. هذا أراحني كثيراً.. كل شيء يبقى على حالته من حيث السكون أو الحركة في خط مستقيم بسرعة منتظمة على رأي الخواجة نيوتن، ما لم يتدخل عفريت.. هذه هي إضافتي..

بعد قليل اتصل بي -إبراهيم لا نيوتن- من الطابق الثاني.. من الغرفة نفسها.. قال لي إن كل شيء على ما يرام.. فقط ساعة الحائط كانت معطلة وكانت تدق بلا انقطاع.. هو أصلح كل شيء فلا داعي لأن أقلق..

شكرته بشدة.. إذن ساعة الحائط كانت هي سبب كل هذه الجلبة.. لا مشكلة من النوع الذي يثير رعبى.. ثم توقفت للحظة.. من قال ومنذ متى كانت هناك ساعات حائط في فندقنا؟... على قدر علمي لا توجد ساعة حائط في أية غرفة..

لكن هذه كذلك ليست مشكلة خطيرة. ربما جلبها أحدهم أو ربما هم عاملو النهار. أنا لا أتابع كل شيء يحدث في كل غرفة هنا..

رحت أمارس عملي المعتاد وهو ليس كثيراً في هذه الساعة، ولعل هذه من مزايا نوبتجيات السهر..

هنا سمعنا صوت عربة الشرطة بالخارج.. السرينة الكثيبة المولولة إياها تعوي من نياط قلبها، ورقصة الأضواء الزرقاء والحمراء.. ماذا حدث؟

تركت الكاونتر وهرعت إلى الخارج حيث كان رجلا أمن من فندقنا يقفان يراقبان ما يحدث.. رأينا مجموعة من رجال الشرطة يتكأون على شيء ما.. تبينت أنه رجل يحاول المقاومة، ويصرخ كالمجانين، لكنهم أوسعوه ضرباً حتى يهدأ حماسه قليلاً..

كانت المسافة بعيدة فلم أميز شكل الرجل، لكنني سمعت صوت الكلابش وهو ينفلق على معصميه، وتعاون رجال الشرطة على دفعه داخل السيارة..

قال أحد رجلي الأمن مستمتعاً بما يحدث:

«حاول الجري لكن أحدهم باغته بـ (مقص حرامية)»

وقال آخر:

«بيني وبينك رجال الشرطة هؤلاء غير بارعين.. لو كنت أنا مكانهم لوجهت ركلة في أعضائه الحساسة ثم سيف يد على مؤخرة عنقه.. هكذا لن يقاوم»

ثم رأى أنني أقف بقربهما فقال لي في حماس:

«نعم.. ذات مرة كان هناك نزيل يحاول الفرار.. وجهت له ركلة في منطقة حساسة.. هوى كالثور المذبوح..»

سأله على سبيل التحقق:

«ومم كان ذلك النزيل يفر؟»

«لم أعرف!.. كان يفر وكفى..»

«أنت ركلت نزيلاً لا تعرف سبب فراره في..... احم؟»

«نعم..»

ابتلعت تعليقاتي التي لن تروق له وسأله عن سبب فرار هذا الرجل الذي قبضت عليه الشرطة الآن..

«لا أعرف.. ربما هو لص..»

عدت إلى الداخل وأنا أرتجف.. لا أحب مشاهدة العنف إلا على شاشة التلفزيون.. فيما

عدا هذا تبدو الأمور قاسية جداً واقعية جداً.. عندما لا يكون الدم صلصة أو مربى فراولة تشعر بالقلق..

وقفت على الكاونتر أفكر.. هناك رائحة عطرية قوية جداً.. رائحة عطر من الطراز الذي يستحضر امامك فتاة حسناء.. تشعر بأنه رائحتها هي وليس عطراً.. في ذلك الوقت كان هناك إعلان تلفزيوني شهير عن مزيل لرائحة العرق، يمر فيه طيف شبحي يمثل الفتاة في الردهة قبل مرورها بفترة، وهذا كان يلفت نظر الجميع..

أتذكر هذا الاعلان الآن.. من أين جاء العطر؟.. لا توجد أية فتاة من حولي.. بالأحرى لا يوجد بشر..

كرراش!.. هنا اصطدمت قدمي بشيء على الأرض.. انحنيت لأرى ما هو فوجدت قلادة.. قلادة ذات دلالة رخيصة الثمن وقد تمزقت كأن هناك من انتزعها عن عنق صاحبها أو صاحبته.. أضف لهذا أنني لست خفيف الوزن وقد سحقته بقدمي دون أن أشعر.. رفعتها ووضعتها في سلة المهملات الصغيرة جوار الكاونتر وأنا أتساءل عن مصدرها.. إن النزلاء يفقدون أشياء طيلة الوقت وإلا ما كانوا نزلاء.. لكن على الأرجح لن يعود أحد للبحث عن هذه القلادة (الفالصة).

جاء مصطفى ليستلقي على الأريكة التي تتوسط اللوبي.. فما كاد يسترخي قليلاً حتى دوى صوت الطلقة..

طلقة رصاص ارتج لها المكان وقد جاءت من خارج الفندق.. ومع الطلقة صوت صرخة أنثوية!

جرى مصطفى إلى باب الفندق ليعرف مصدر هذه الطلقة، فهو في هذا أحرق آخر من الذين تعج بهم صفحات الحوادث.. هناك صوت طلقات.. إذن هناك طلقات!.. وبعض هذه الطلقات يطير في الهواء نحوكم كما تعرف..

قلت له وأنا أقف خلف الكاونتر:

«ابتعد عن الباب يا أحرق.. هناك طلقات طائشة بالتأكيد»

لم يعلق كأنني أكلم نفسي.. وقف في الظلام بعض الوقت يتابع ما يحدث، ثم غادر المكان.. مددت يدي إلى سماعة الهاتف وطلبت الشرطة.. هناك من يطلق الرصاص أمام فندقنا.. لا.. أنا

متأكد من أنه لا يوجد حفل زفاف أو شيء من هذا القبيل.. ليست صواريخ أطفال والله العظيم. تعالوا لو رغبتم في ذلك فقدومكم يسرنا.. لو لم تأتوا فهذا حظنا السيئ..

عندما وضعت السماعة عاد لي مصطفى وتثاءب وتمدد على الأريكة.

«ماذا حدث؟»

غمغم بشيء ما، وضم يديه على بعضهما وأغمض عينيه ليواصل النوم. صحت في غيظ:

«ماذا رأيت يا أحمق؟»

قال بلا مبالاة:

«امرأة قتلت.. يبدو أن زوجها أطلق عليها الرصاص أو شيء من هذا القبيل.. لا تهمني هذه الأمور..»

«وهل قبضوا عليه؟»

«هناك زحام في الخارج.. لا أعتقد أنهم قبضوا عليه.. على كل حال الإسعاف قادمة..»

وقبل أن أسأل المزيد كان قد غرق في سبات عميق.

هكذا جلست وحدي أنتظر قدوم رجال الشرطة.. لماذا تأخروا إلى هذا الحد؟.. لو أراد القاتل أن يتسلى على كل نزلاء الفندق لوجد الوقت الكافي لذلك..

فجأة رأيت ذلك الرجل.. أعني رأيت انطباعاً عاماً عنه لأنني لم أشعر به إلا عندما بدأ الركض.. رأيت يندفع من فتحة الدرج الملاصق للمصعد.. رأيت يقف جوار باب المصعد وينظر له في ثبات.. يضغط الزر مرة أو مرتين، ثم يندفع كالقذيفة نحو باب الفندق.. بنفس السرعة والشراسة اللتين يندفع بهما قط محاصر بين قدميك. لم أستطع تمييز أي شيء منه.

«يا استاذ!.. لحظة!»

لكنه كان قد توارى في الظلام.. من هو؟.. لماذا يجري؟.. هل هو الذي أطلق الرصاص على المرأة؟.. مستحيل؟.. هو لم يدخل أمامي والجريمة تمت في الخارج..

على كل حال تبدو هذه الليلة (من تلك الليالي).. الأحداث عاصفة صاخبة تبدأ بساعة تصدر جلبة (برغم أن أحداً لم يضعها) والقبض على لص في الشارع وطلقات رصاص ورجل يجري..

ومصطفى نائم كالثيران لو أن الثيران تنام.. رجلا الأمن كذلك نائمان في مكان آخر على الأرجح.. أين ذلك المتحمس ليصطاد ذلك النزيل الفار بركلة في منطقة حساسة كما قال؟.. إنه نائم طبعاً ولو سرقوا الفندق كله فلن يدرى..

أين الشرطة؟.. لا بد أنهم حسبوا مكالمتي دعابة.. لكن ألم يتصل بهم أي واحد ممن سمعوا الطلقة؟

هنا رأيت رجلاً لم أره من قبل يتقدم في ثبات نحو الكاونتر..

كان مبعثر الشعر أحمر العينين له كل سمات الوحش الجريح، وقد انفتح قميصه ليكشف عن غابة من شعر كثيف ساعد في إعطائه صورة الغوريلا فعلاً.. ثيابه نفسها مبعثرة تدل على أنه ارتداها على عجل..

تقدم نحوي وقال بصوت معوج مجنون:

«أين هي؟»

«من هي؟»

قلتها في كياسة، فاتسعت طاقتا أنفه كالغوريلا كما قلنا.. في كل لحظة يعطيني دليلاً آخر على طبيعته الحقيقية.. قال لي:

«لا تكذب.. رائحة عطرها في كل مكان..»

في هذا هو محق.. لا أعرف من هي لكن عطرها واضح فاضح. إنها في كل مكان هنا..

قلت في تهذيب وتقية:

«سيدي.. أنا نفسي لا أعرف مصدر هذا العطر..»

نظر لي بعينين محمرتين.. ثم تصلبت عيناه على شيء في أعلى صدري.. قبل أن أفهم كان قد انتزع قلادة معلقة في عنقي. أنا ألبس قلادة؟.. مستحيل.. لكن ما دام انتزع قلادة فقد كانت هناك قلادة لو أردت رأيي..

قال بذات الصوت المنذر:

«وهذه؟»

وألقاها على الأرض في اشمئزاز كأنها ملوثة بالبول، ثم ضاقت عيناه أكثر وغمغم:

«هي لعبة.. لعبة كبيرة، لكنني لا أخدع.. سوف أدبرها ثم أعود إليك.. انتظر دورك أيها (خرنج)»

وتركني متجهاً إلى الدرج..

أنا (خرنج)؟.. كنت احسبهم كفوا عن استعمال هذه الكلمة منذ أفلام الستينات، وكانت مقصورة على رجال العصابات، وبصفة خاصة ذلك الدوبلير العملاق الأصلع الذي اعتقد أن اسمه كان (نصري)..
 كنت في غاية الحيرة.. ما الذي أتى بهذه القلادة هنا؟.. أنا تخلصت منها.. لم تمس عنقي قط.. أعرف هذا يقيناً..

من هذا الرجل؟.. هو ليس نزيلاً... لماذا يهددني؟.. من هي؟

فقط أنا متأكد من شيء واحد: هذا الرجل سوف ينفذ تهديده حرفياً.. لديه كل الإمكانيات التي تسمح له بذلك..

رفعت سماعة الهاتف ورحت عبتاً أحاول العثور على أي رجل أمن هنا.. يجب أن اشكوهم في الصباح.. لو كانوا يتقاضون راتباً من أجل النوم فهذا بوسع أي واحد آخر..

على كل حال كل الذي يجري هنا سواء كان متعلقاً بالقتلة أو اللصوص أو المجانين لا علاقة له بالغرفة ٢٠٧ ما دام لا يوجد أي نزيل بها.. هذا يطمئنني..

استندت على الكاونتر واغمضت عيني..

هنا.. صحيح ان رائحة العطر قوية جداً، لكنها هنا كانت أقوى وأقوى.. كانت تتزايد بلا توقف.. كانت تقترب.. عطر جديد يهزم العطر القديم مع أنهما من نفس الزجاجاة.. الآن فقط أفهم سبب كراهية العطر لدى المتدينين.. هذا ليس عطراً.. هذا عالم كامل من الشهوات والإغراء يدفعك إلى أن تنزلق وتنزلق لأسفل إلى ما لا نهاية.. لا وقت للتوقف.. لا وقت للتعقل.. هذا سلاح ماض بتار من ترسانة الأسلحة الرذيلة.. لا احد يقدر على مقاومته.. لا أحد.. يجب أن يُحرّم.. يجب أن يقطعوا رقبة بائعيه...

كانت هناك تنظر في عيني مباشرة.. عيانان بنيتان واسعتان صريحتان..

تقول لي:

«ساعدني أرجوك.. انت تعرف أنه سيجدني في النهاية.. أرجوك.. أنت تعرف أنه مجنون وأنه سيفتك بي..»

قلت لها وأنا أحاول الا أفقد الوعي:

«سوف.. سوف أفعل ما تريد.. لكن قل لي ما هو..»

قالت وهي تنظر إلى الخلف في ذعر:

«هل عندك مخبأ مناسب..؟.. مخبأ لا يخطر له ببال؟»

القصة واضحة.. هذه زوجة.. زوجها هو ذلك المجنون الذي هددني منذ قليل.. سوف يفتك بها بسبب الغيرة. الثيران لا تقتل إلا لهذا السبب.. لو كان ذكياً لبدأ بمنعها من استعمال هذا العطر المخدر..

فكرت في الغرفة ٢٠٧.. لو توارت هناك فلن يجدها، لكنني قدرت أنني أذكى من هذا.. القصة مناسبة جداً كي يحدث لها شيء مخيف.. كارثة.. لا.. لن أجازف..

كان هناك مخرج جانبي للحريق.. معي مفتاحه لحسن الحظ..

اتجهت إلى المخرج الواقع في أقصى الركن الأيمن من اللوبي، وقلت لها:

«يمكنك أن تتواري هنا.. لا تحاولي الخروج من هذا الطريق لأنه سيكون بالغ التعقيد.. سوف تتعثرين في خراطيم وفئران وصناديق ورقية.. فقط ابقِ هنا إلى أن أخرجك»

لم تكن في حال تسمح بالرفض أو الخوف من الفئران، هكذا أغلقت الباب عليها.. أغلقته بالمفتاح في الواقع.. أنا الآن أستحق الرصاصة التي ستفجر رأسي أو الطعنة التي ستمزق شرياني السباتي..

هنا دق جرس الهاتف.. هرعت إلى الكاونتر.. يا رب لتنته هذه الليلة.. لتنته بأي شكل!

إنها نزيلة الغرفة ٢٠٧ تطلبني!..

الجميل في الموضوع هو أنه لا يوجد نزلاء في الغرفة ٢٠٧!

الماء كان ينساب بالداخل.. يمكنك سماع صوته بسهولة..

قرعت الباب مرتين فسمعت من يقول:

«أدخل..»

الباب مفتوح.. الماء كان ينساب تحت باب الحمام.. بركة صغيرة توشك على أن تفرق البساط وكل شيء.. لم يكن هناك أحد في الغرفة.. فقط تلك الرائحة القوية العطرية التي

صرت أميزها على بعد أميال.. وسمعت تكتكة ساعة فرفعت رأسي.. كانت ساعة الحائط إياها على الجدار تنتظر..

وتحسست صدري لسبب ما.. وجدت القلادة معلقة هناك!.. القلادة اللعينة التي انتزعها ذلك الرجل مني وألقاها على الأرض!.. ما معنى هذا؟
سمعت من وراء باب الحمام صوت امرأة يقول لي:

«تعال!»

تعال؟.. سيكون هذا أغرب طلب سمعته.. هكذا أزحت الباب وأنا أعرف ما ينتظرني.. لا يوجد أحد في الغرفة حسب أوراقي لكن فيها أحدًا حسب حواسي.. إذن ما سأجده وراء الباب هو هيكل عظمي أو جثة مقتولة في مغطس الحمام.. لن تقدم لي الغرفة ٢٠٧ ما هو أفضل..

لكن الغرفة كانت بالفعل تحتفظ لي بمسرة بسيطة.. في المغطس بفقايع تغطيها على طريقة (هند رستم) كانت الزوجة.. الزوجة التي ساعدتها على الهرب من مخرج الحريق.. كانت تنظر لي في ثبات وهي تبتسم..

مددت يدي في خفة وانتزعت سداة (الفايظ) التي تمنع مياه المغطس من أن تغرق الأرض.. على الفور بدأ مستوى الماء في المغطس ينخفض وتوقف الشلال الذي يهدر على الأرض..
قالت في دلال:

«أنت بارع جدًا.. سريع البديهة.. لكنك بهذا تجعلني مكشوفة يا (شقي)!.. الماء ينخفض.. هل ترى؟؟ إنه ينخفض!»

يا فتاح يا عليم!.. لو كنت أنوي أن أستسلم للإغراء فليس بهذه السهولة وليس هنا والآن.. ليس في الغرفة ٢٠٧ ومع امرأة لا أعرف كيف دخلتها.. أخذت شهيقًا عميقًا وخرجت من الحمام، وعلى الجهة الأخرى من الباب أعطيتها ظهري وقلت لها:

«أود سؤالك عن كيفية دخولك هذه الغرفة..»

لم ترد.. فعدت أكرر السؤال..

في اللحظة التالية وجدت شيئًا يوضع حول عنقي!.. نظرت له فوجدت أنها القلادة!.. القلادة توضع على عنقي برغم أنها كانت حوله فعلا!

كانت تقف ورائي وهي ترتدي روباً خفيفاً، وقد فعلت هذا على سبيل الدعابة.. ثم اتجهت إلى الكومود فأخرجت زجاجة عطر وراحت تسكبه على نفسها ثم أهرقت بعض القطرات علي وهي تضحك..

هو ذات العطر الكاسح.. أعرفه جيداً..

«كيف دخلت هذه الغرفة ومتى؟»

قالت في لا مبالة:

«أنت تطيل الأسئلة وتفقد جمال اللحظة..»

«ترككت في مخرج الحريق.. لا تقولي إنك غادرت..»

عادت تقول وهي تمشط شعرها أمام المراة:

«لا أفهم ما تقول.. دعك من هذا الهراء وقل لي: هل أعجبك؟»

«كيف دخلت الغرفة؟»

«أنت أعجبتني منذ اللحظة الأولى.. لم تكن هذه سوى وسيلة للانفراد بك»

قلت في عصبية:

«سيدتي.. سوف يعود زوجك خلال دقائق.. ولم يبق سوى هذا الذي تفعلين كي يطير

اعنقانا.. لا أبالي بعنقك كثيراً لكن عنقي يهمني..»

ومددت يدي أحاول انتزاع القلادة، فصاحت في جزع:

«لا تفعل.. أرجوك أن تتركها...»

ثم أضافت وهي تضع اصبعها على ثغري:

«زوجي ليس هنا.. لقد خرج.. لكنه سيعود وعندها تنتهي روعة اللحظة.. هل تفهم

هذا؟.. الغيرة الدائمة هي الطريقة المثلى لتجعل امرأتك خائنة.. عندما تشك فيها طيلة الوقت

وتعذبها وتضربها، فإنها تقرر أن تكون معاناتها ذات سبب.. أن تستحق ما تظنه بها.. ألم

تقرأ قصة الجنى والجارية في افتتاحية ألف ليلة وليلة؟.. هذه القصة التي جعلت شهرزاد

يقرر ذبح النساء جميعاً..»

قلت وأنا أتجه للباب:

«هناك عنق واحد يقلقني أمره الآن..»

ثم أضفت وأنا أفتح المقبض:

«أمامك ثلاث دقائق لمغادرة هذه الغرفة. هي ليست من حقك.. أنت لست نزيلة عندنا..»

قالت بطريقتها غير المبالية:

«كف عن هذه الهلاوس..»

أغلقت الباب وعدت إلى الكاونتر..

ثمة ملاحظة غريبة أرجو ألا تثير جنونك: القلادة لم تعد حول عنقي!.. رائحة العطر لم تعد موجودة!...

هنا فقط بدأت أفهم.. وجلست لأن قدمي لم تعد تحملني..

ساعة تصدر جلبة.. القبض على رجل في الشارع وطلقات رصاص ورجل يجري.. قلادة على الأرض ثم رجل يهددني وينزع القلادة.. ثم زوجة خائفة تطلب أن أخفيها.. ثم زوجة وحيدة في غرفة ٢٠٧ تحاول إغرائي وتعطيني القلادة وترشني بالعطر...

لو تصورنا أن الرجل الذي يظهر في كل هذه الأحداث هو الزوج الغوريلا.. لا يمكن أن نفهم.. رتب الأحداث بالقلوب تصر منطقية تمامًا: زوجة وحيدة في غرفة ٢٠٧ تحاول إغرائي وتعطيني القلادة وترشني بالعطر... ثم زوجة خائفة تطلب أن أخفيها لأن زوجها يطاردها.. الزوج يهددني لأنه وجد القلادة وينتزعها.. الزوج يجري.. أنا وجدت القلادة على الأرض.. من الواضح أن الزوجة غادرت الفندق عن طريق مخرج الحريق برغم نصائحي.. ثم تدوي طلقات رصاص لأن هذا الرجل قتل زوجته.. ثم القبض عليه في الشارع..

ما حدث الليلة هو أنني عشت قصة مقلوبة.. عشتها من نهايتها...

كنت أرتجف من فرط الانفعال.. لماذا حدث هذا؟.. كيف؟.. أعتقد أن الأمر يتعلق بالساعة المعلقة على جدار الغرفة ٢٠٧.. يسهل أن تتوقع أنها تدور بالقلوب، ومن ثم وقعت الأحداث بالعكس..

لكن كيف أثبت نظريتي؟

في هذه اللحظة شممت رائحة عطر الزوجة المميز.. رأيت أمامي الزوج الغوريلا وزوجته معه.. كانت تبتسم وتراقبني في ثبات.. أما هو فكان فظًا كالعادة وقد قال لي في حزم:

«سمعنا أن عندكم غرفة تطل على البحر.. أحد أصدقائي قال إنها ممتازة.. الغرفة ٢٠٧... هل هي خالية؟»

تلك هي بداية كل شيء إذن.. نزيلان ظريفان سوف يقيمان في الغرفة ٢٠٧.. ومن هنا يبدأ مسلسل الأحداث التي وقعت بالفعل.. الفارق هو أنهما يطلبان الغرفة بعد ما أقاما فيها!

الزوجة تهمس في أذن زوجها بصوت اسمعه أنا:

«هل ستتمكن من تعليق ساعة الحائط التي معك؟»

قال في فظاظة:

«طبعاً.. لا بد من مسمار على الجدار في مكان ما»

قالت همساً:

«فكرة غريبة أن تحمل معك هذه الساعة إلى كل مكان»

«أنا أتفاعل بها.. ما المشكلة؟»

ونظرت لي في ثبات.. تدرس كل شيء في.. وتحسست عنقها..

طبعاً كانت القلادة هناك..

ابتعدا متجهين إلى المصعد بينما جلست أنا لأن ساقي ترتجف بلا انقطاع..

طبعاً لو صعدت الآن إلى الغرفة فلن أجدهما.. لن أجد ساعة على الجدار.. لن أجد أي

شيء.. نظرت إلى الدفتر فوجدت البيانات التي كتبتها حالياً قد تلاشت..

أعتقد أن علي أن أحاول النوم.. أحاول أن أغمض عيني قليلاً قبل أن ينفجر رأسي من

الاعيب هذه الغرفة.

ما رأيك يا عم جمال؟

لقد انتهى الأمر..

لم يعد أحد مستعداً للمزاح.

(رامي) و(صلاح) و(عزة) قالوا لي إنهم لن يتحملوا أكثر.. فما رأيك يا عم جمال؟

دعوني أتكلم يا شباب فلا تجرفني عصبيتكم ولا يقودني حماسكم إلى ارتكاب حماقات..

أعرف أن الأمر غريب ومروع، لكنني لا أريد الوصول إلى استنتاجات خاصة وأن هذه الغرفة لم تظهر طبعاً كهذا من قبل. ما أشعر به أنها تتسلى لكنها لا تؤذي غالباً..

كلنا كان يحب (علي) وكان هو رمز التفاؤل في الفندق. هذا الفتى القادم من الصعيد كان ظريفاً مفعماً بالحيوية، وكانت كل كلماته دعابات قوية جداً، وكانت (عزة) خطيبته.. أعرف هذا.. أعرف أنه كان ساهراً في الاستقبال عندما اتصل به أحدهم يطلب مساعدته في الغرفة ٢٠٧..

لقد نهض وبحث عن يقوم بهذه المهمة فلم يجد.. كان وحيداً في الاستقبال تماماً، وهكذا قرر أن يصعد بنفسه..

عرفنا هذا لأنه قابل (الزيني) عامل النظافة عند مدخل المصعد، وقال له إنه ذاهب للغرفة ٢٠٧، لأنه لا يتوقع أن يتمكن الزيني من حل المشكلة.

كانت هذه آخر مرة رأوه فيها حياً.

بعد ساعتين فتح الزيني دفتر النزلاء وراجع الأسماء، هنا فطن لحقيقة مروعة هي إنه لا يوجد نزلاء في الغرفة ٢٠٧!.. من اتصل بالفتى؟.. واضح أنه تلقى المكالمة بشكل ألي دون أن يفكر..

هرع الزيني إلى الطابق الثاني وطرق باب الغرفة عدة مرات، فلم يرد أحد. أزاح الباب قليلاً ونظر في الظلام فلم يجد شيئاً..

أضياء النور وبحث عن الفتى الصعيدي المختفي. لا يوجد أحد..

لكنه رأى قطرات دم على الأرض..

شعر بالذعر وكاد يغادر الغرفة وليته فعل.. هو يتمنى لو كان فعل هذا.. لو أنه لم يرفع عينيه إلى أعلى ليرى الفتى (علي) معلقاً من مروحة السقف.. حبل يربطه إلى قطعة الحديد البارزة من السقف التي يطلقون عليها اسم (جنش).

كان علي ميتاً يتأرجح ككل الموتى.. شاخص العينين.

أما الأهم فهو أن بطنه كانت مجوفة.. لم تكن هناك أحشاء على الإطلاق..

أعرف أن الشرطة لم تصل لأي شيء.. كانت هناك شكوك حول الزيني نفسه، لكنها شكوك على سبيل الروتين ولم تؤخذ بجدية. فالفتى ليس بالقوة التي تسمح له بتعليق شاب ضخيم مثل علي في السقف. دعك من أنه لا يوجد حافظ على الإطلاق..

كانت الحيرة والذعر على الوجوه، ولكنهم نظروا لي وأنا أجلس جلستي المعتادة المسنة والقلنسوة الصوفية على رأسي. قلت لهم إنني أعرف وأفهم.. هذه الغرفة ٢٠٧ تفعل أشياء كهذه.. صحيح أنها لم تتطرف لهذا الحد من قبل، لكنه مفهوم..

هكذا انهالت علي الأسئلة..

هكذا قررت أن أحكي وقد شعرت أنني تحررت من عهدي القديم للخواجة (مايكل). حكيت لهم كل شيء وهذه المرة يبدو أنهم صدقوني..

بالطبع لم تسمع الإدارة بشيء من هذا. من سمعني هم شباب الفندق.. الأجيال الجديدة التي راحت تفتش في ذاكرتها عن ذكريات مماثلة. هناك من تذكر أنه تعثر أمام هذه الغرفة يوماً ما!.. هناك من تذكر أن إصبع قدمه التوى.. قصص كثيرة خرجت للسطح معظمها كلام فارغ طبعاً..

«ولماذا تفعل الغرفة هذا؟»

«أرجح الاحتمالات عندي أن شيئاً مدفوناً في جدرانها يحاول التحرر.. اقتربت كثيراً من هذا الشيء عندما جرت عمليات تجديد لها..»

قالت لي (عزة) وهي تبكي:

«يجب أن نفعل شيئاً.. هذه الغرفة لن تؤذي واحداً آخر..»

قلت لها وأنا أحاول أن أتبين وجهها وسط كل هذه الغشاوة التي تغطي عدستي عيني:

«نحن فكرنا في أشياء كثيرة عندما كنا نحن المسيطرين على المكان، ولم نفعل أي شيء..»

لكننا سنفعل..

قالها الشباب في حماس.. سوف ندمر هذه الغرفة، لكن ما رأيك أنت يا عم جمال؟

وعندما جاء منتصف الليل كانوا ساهرين.

النزلاء قد غابوا في غرفهم، وأطفئت معظم الأنوار.. في المساء يدوي صوت موسيقا حاملة قادمة من عدة سماعات متناثرة هنا وهناك لكنها زادت من توتر الجو..

أنا لم أنم وجلست مستنداً إلى عصاي أرمق ما يدور من حولي..

يهبط المصعد.. ويدخل فيه (رامي) و(صلاح).. لكنهما ليسا وحدهما.. معهما أنبوبتان من غاز البوتان - غاز البوتاجاز - ثم ينغلق الباب عليهما ويرتفع المصعد..

لن تكون (عزة) معهما.. ستنتظر هنا..

قلت لهما إنهما مجنونان، لكن (صلاح) قال لي إنه رأى انفجار أنابيب البوتاجاز من قبل. سوف يدمر الانفجار الغرفة لكنه لن يأتي على أية غرفة مجاورة. سوف ينهار السقف وتتداعى الجدران لكن لن يبلغ الضرر درجة إيذاء الفندق.

الغرفة ٢٠٧ ستتحول إلى كومة من الأنقاض، وعلى الأرجح لن يرممها أحد. سوف تغلق للأبد.

قلت بصوتي الواهن:

«لكن هناك شرطة وتحقيقاً.. لن يمر الأمر بسهولة فنحن لا نعيش في الصحراء»

قال (رامي) في ثقة:

«هذا صحيح لكنهم لن يعرفوا أبداً من فعلها. لم يرنا أحد سواك ونحن نفعل ذلك ونحن

لن نترك أي أثر.. لو لم تتكلم أنت لكان عليهم أن يسجنوا كل العاملين في الفندق.. فهل

ستتكم يا عم جمال؟»

قلت وأنا أشعل لفافة تبغ بيد ترتجف:

«لن يطلب أحد شهادتي، فهم يعرفون إنني لا أرى تقريباً»

والواقع إنني كنت معهم قلباً وقالباً.. لقد حان الوقت كي تذهب هذه الغرفة اللعينة إلى الجحيم. ربما لم أجسر أنا على عمل ذلك لكن هناك من يجسر..

إنها مكان شرير، والأماكن الشريرة يجب أن تزول إلى غير رجعة..

لهذا جلست مع (عزة) صامتين وانتظرنا.. سوف يعود الشابان حالاً فيغادر الجميع الفندق وأبقى أنا على الكاونتر بانتظار سماع صوت الانفجار من أعلى.. سوف يصيبني الهلع وأطلب الشرطة والمطافيء.

ما سيفعله الشبان بسيط جداً.. سوف يشعلان شمعة طويلة ويقومان بغلق الشرفة جيداً، ثم يفتحان صمامي الغاز ويتأكدان من غلق الغرفة، قبل أن يفرا.. إن هي إلا خمس دقائق أو عشر حتى يصل الغاز كريحه الرائحة إلى اللهب وعندها ينفث الجحيم..

جرس الهاتف يدق..

رفعت السماعة فجاء صوت (رامي) يقول:

«هلا أرسلت (عزة) هنا؟.. ثمة مشكلة..»

«مشكلة في إيقاد شمعة؟»

«لا.. لا وقت للشرح. فقط قل لها أن تأتي وابق حيث أنت»

قلت لـ (عزة) إنهما يريدانها في الغرفة ٢٠٧ فنظرت لي في قلق.. ثم إنها نهضت وهرعت إلى المصعد. لا أعرف نوع المشكلة التي تحتاج إلى أنثى ولا يقوم بها رجلان.. العناية بطفل أو تطريز مفرش أو طهي بعض الكوسة.. هذا هو ما أتخيله ولا علاقة له بتفجير غرفة على ما أعتقد..

انتظر..

انتظر..

قطار ذكرياتي مع الغرفة. مع الفندق يتسارع في ذهني..

عندما كنت شاباً قوياً.. عندما كنت رجلاً مفعماً بالرجولة.. الخواجة مايكل ومصطفى وعم مينا.. عشرات الوجوه التي جاءت ورحلت في حياتي..

جرس الهاتف يدق من جديد..

«ألو؟»

جاء صوت رجل منزعج:

«أنا نزيل الغرفة ٢٠٨.. هناك رائحة غاز قوية في الطابق كله. هلا أرسلت من يتأكد؟»

«حسن..»

أين ذهب هؤلاء الحمقى؟.. واضح أنهم فتحوا الصمامين فلماذا لم يظهروا؟.. ماذا ينتظرون؟

هكذا نهضت متثاقلاً واستندت إلى عصاي وأنا أتجه إلى المصعد. ضغطت على زر الطابق الثاني.. انفتح الباب فخرجت إلى الرواق الرهيب الذي مشيت فيه مئات المرات في حياتي..

كان باب الغرفة موصداً.. حاولت فتحه عدة مرات فوجدته مغلقاً.. بالفعل كانت رائحة الغاز تنتشر من تحت الباب.. هم أنجزوا مهمتهم وفروا إذن..

لماذا لم أرهم وأنا في الاستقبال؟.. لأنني كنت نائماً بالطبع.. الشيوخ ينامون في مقاعدهم مائة مرة في الساعة ويقسمون أنهم لم يغمضوا العيون لحظة. لكن لماذا لم يوقظوني ليقولوا إنهم قاموا بالمهمة؟

المشكلة أن الانفجار سيدوي في أية لحظة الآن وعلي أن أبتعد..

هنا انفتح باب الغرفة ٢٠٨ وظهر رجل.. اقترب فعرفت أنه رجل يلبس منامة وبادي القلق، وقد قال لي:

«ألم تعرف مصدر الرائحة بعد؟»

قلت له في حزم وأنا أبتعد عن الباب:

«سأتصل بعمال الصيانة.. فقط ادخل حجرتك ولا تخرج منها..»

قال في عصبية:

«هذا ما قالت الفتاة وهي تدخل الحجرة منذ دقائق..»

«أنت رأيت الفتاة تدخل؟.. إذن كانت هناك رائحة غاز وقتها؟»

«نعم.. دخلت ولم تخرج ثانية.. قرعت الباب مراراً فلم يرد أحد!»

معنى هذا أنهم بالداخل!

هكذا صحت في الرجل:

«تعال.. ليس المفتاح معي.. يجب أن نقتحم هذا الباب معاً..!»

نظر لي وأدرك أنه من المستحيل أن يكون لي دور، وهكذا هرع إلى حجرة مجاورة فعاد مع رجل مفتول العضلات وتعاون الرجلان على اقتحام الباب..

بسرعة!.. سوف يدوي الانفجار في أية لحظة!

بسرعة!

أخيراً انفتح الباب.. ورأيت الغرفة من الداخل في الظلام.. رائحة الغاز تملأ كل شيء..

كاد أحرق ما يشغل النور الكهربائي، لكنني صحت:

«لا تفعل!... قد تنبعث شرارة!»

لم تكن هناك شمعة.. لهذا تأخر الانفجار..

هرع أحدهم يفتح الشرفة ويغلق صمامي الغاز، ونظرت إلى الفراش لأجد عزة راقدة هناك وفي يدها شمعة. كانت غائبة عن الوعي.. على الأرض وجدت الشابين غائبين عن الوعي كذلك..

كان الهواء قد بدأ يملأ الغرفة فاضأت النور بحذر. تفحصت الشابين على الأرض فوجدت قطعة قرميد جوار رأس كل منهما.. الفتاة كذلك كانت هناك قطعة قرميد جوارها على الفراش.. نظرت للسقف وعرفت مصدر هذه الحجارة. لقد أعدت الغرفة انتقاماً مروعاً.. عندما فتح الشابان صمام أنبوب الغاز وأشعلا الشمعة هوى حجر على رأس كل منهما ليغيبا عن الوعي، وتم استدعاء الفتاة ولا تسلم من استدعائها.. عندما دخلت الغرفة هوت قطعة حجر ثالثة على رأسها.. وانغلق الباب بإحكام.. هكذا صار محكوماً على الثلاثة بالإعدام، غير أن عزة استطاعت أن تجد من الوعي ما يسمح لها بأن تطفئ الشمعة قبل أن تغيب عن الوعي.. كانوا سيموتون اختناقاً لكنها ميتة أبداً من أن تتناثر أجزاؤهم في الانفجار..

طلبت من الرجلين أن يخرجوا ثلاثة الشبان.. أن يحاولوا إفاقتهم.. ألا يقلقوا علي..

وعندما جروا آخرهم إلى الخارج أغلقت الباب على نفسي بالمزلاج..

أغلقت النور ووقفت أنتظر..

في مكان ما هنا يكمن السر.. يجب أن أعرف..

أيتها الغرفة ٢٠٧.. أنا هنا وحدي في الظلام.. وحدي.. عجوز واهن عاجز عن المقاومة..

فلتفعلي ما تريد..

ومن خلال المراة أرى ذلك الشيء.. أراهم يتحركون.. يتبخرون ويتكاثفون ويتجمدون
ثم يتبخرون ثانية..

نحن لا نريد أن نؤذيك...

هذه الغرفة بنيت في موضع فجوة.. فجوة تقود إلى عالم جحيمي شيطاني لا يمكن
وصفه. وهذه الفجوة هي عبر زجاج المراة.. لهذا لم يتغير شيء عندما تم تجديد الغرفة لأن
المراة عادت لها..

من هذه الفجوة يأتون لنا ويعبثون ثم يرحلون..

نحن لا نريد أن نؤذيك...

نعم.. فأنا معهم منذ دهر.. لكن من قال إن الرغبة متبادلة؟

التقطت من فوق الكومود رزمة الأوراق والقلم ورحت أخط هذه الكلمات التي تقرأها
الآن. أكتب بصعوبة سبب وهن بصري لكنني أكتب.. ربما يهوي حجر على رأسي في أية
لحظة لكنهم قالوا إنهم لا يريدون إيذائي.. ربما لا يفعلون...

أرفع رأسي فأراهم يبرزون من سطح المراة ثم يتوارون فيه.. يتلصصون..

نحن لا نريد أن نؤذيك...

سوف أنتهي من الكتابة فأضع الورقة في مظروف سميك وأخرج للشرفة لألقيه في
الشرفة المجاورة، ثم أغلق الشرفة بإحكام.

سوف أعود للغرفة.. أشعل الشمعة من جديد..

أتجه إلى أنبوبتي الغاز فأفتحهما من جديد..

سوف أتناول الأباجورة لأهشم بها زجاج المراة... وعندما يتناثر الزجاج مع السر
سوف يدوي الانفجار، ورهاني على أن الفجوة سوف تغلق عندما يضحى إنسان بنفسه
من أجل ذلك..

هناك سبب آخر قد يبدو مضحكاً سخيفاً.. أحياناً أعتقد أن الغرفة ٢٠٧ وليدة عقلي أنا
وإذا انتهى عقلي انتهت الغرفة معه..

لن يفتقد أحد عجوزاً بلا أسرة وشبه كفيف..

لكنني سأقدم خدمة لأجيال قادمة لن يحدث لها شيء في هذه الغرفة..

جمال الصواف ينهي أسطورة الغرفة ٢٠٧...

هذه نهاية تروق لي كثيراً جداً.

جمال الصواف

الجزء الثاني
من

صدرت له عدد
طباعات عن دار ليل
من الكتب النادرة

قوس قزح

قصة تكملها أنت

عقل بلا حسد

الغرفة 207

حظك اليوم

الآن أفهم

زخازين

فقاقيع

E.S.P

الآن نفتح الصندوق 1

الآن نفتح الصندوق 2

وسلسلة www

صدر منها

المحاضرة

عدد العدد الأخير

عرباء الاطوار

أحد عشر

التخصص

